أرسين لوبين

إعترافات أرسين لوبين

www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^

مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

اعترافات أرسين لوبين
الفصل الأول

اشعلت سيجارتي الرابعة وأصابعي ترتجف اشبه بحزمة من أوراق الشجر . وجعلت احملق إلى الباب خلال الدخان الأزرق كانما اتوقع أن ينفتح على مصراعيه رغم انني كنت قد أدرت فيه المفتاح منذ ساعتين . ولم تكن رعدتي بسبب خشيتي القانون لانني كثيراً ما خرقته وخالفته مطمئن البال ، ولكني كنت ارتعش كلما تذكرت ذلك الوغد (جوزيه سافيلا) يمطر الأرملة الشابة برصاصه ، ثم يتركها جثة هامدة على ارض سيارتي .

وكان أخوه "مانويل سافيلا" يناوئني وأناوئه في كل مكان على طريقتي في تضييق الخناق على كل المجرمين ، وكذلك كان البوليس الإنجليزي يتشكك في منذ هبطت إلى إنجلترا عندما اجتاح الالمان الأرض الفرنسية .. ولكن مناوأة "سافيلا" قد احتدمت اخيراً وسيلتف بسببي حبل المشنقة حول رقبة اخيه "جوزيه" ... وها هو ذا يكتشف أخيراً الحجرة الوضيعة التي انتقلت إليها ، وها هو ذا يرسل أعوانه لاقتناصي وإزهاق روحي في مكمني .. وكنت اعرف أن الدم الإسباني يجري في شرايين ذلك الرجل ، فلم اعجب لهياجه وانفعاله لأوهى الأسباب ، ولم أدهش لإصراره على الانتقام من خصومه في غير رحمة أو هوادة .

توالت الطرقات على الباب من جديد ، فدفعت السيجارة الخامسة في فمي لأنني بدونها اكون اشبه برجل يتضور جوعا وعطشا . وتصبب العرق من جبيني عندما وجدتني اشبه بفار صغير في مصيدة يحيط به اكثر من قطة متحفزة ، ولكنني اعتزمت ان ابيع حياتي بابهظ ثمن !

وارتفع صوت أجش يقول :

- افتح يا "لوبين" !

- وقال صوت اخر :

- إنه ليس هنا يا "هنري" .

- انا واثق انه هنا فقد رأيته عائداً منذ ساعتين ولم أره يغادر المنزل بعد ذلك .

فتوالت الطرقات ... وادركت من الإلحاح في الطرق والنداء انهم مصرون على اقتناصي .. وارتفع الصوت الأجش يقول :

- افتح أو نحطم الباب !

فمضيت إلى الباب وإحدى يدي في جيبي قابضة على مسدسي وممدت الأخرى إلى المفتاح في شيء من التردد ، فقال "هنري" صاحب الصوت الأجش :

- انا اسمعه يا "فريد" إن وقع قدميه يقترب من الباب . افتح يا "لوبين" ولا تخف والهبتني عبارته (لاتخف) ففتحت الباب حانقاً على الفور .. وسرعان ما اندفع إلى الحجرة رجل بدين يكتنز بالعضلات . أما رفيقه فكان شابا فاره الطول بادي الأناقة ممشوق القامة متجهم الأسارير . ولاحظت انني اشد على قبضتي معتزما ان ادافع عن نفسي بكل ما اختزن فيها من قوة ، فقال الرجل البدين يسالني في رفق :

- أانت مسيو "لوبين" ؟

ولما أومأت برأسي بالإيجاب عن سؤاله السخيف استطرد يقول :

- لادعي لإثارة المتاعب . نحن صديقان لك .. فقط جئنا لنمضي بك إلى مكان بعيد .

ثم انتحى جانبا يحرك شدقيه في عصبية كانما يجتر شيئا بين أسنانه .. إلى أن قال له زميله :

- هيا بنا يا "هنري" !

وتقدمنا "فريد" فهبطت معهما إلى الشارع مؤثراً ان استسلم وان ارى خاتمة ذلك المطاف ، وفي الطريق وجدت سيارة في انتظارنا ، وسرعان ما أقلتنا تسابق الريح ، وبعد عشر دقائق عاد البدين يقول لي :

- لاتخف يا "لوبين" فرئيسنا صديق لك .

وافتر فمه عن ابتسامة توحي بصدقه ، ولكني رحت اتساءل اي صداقة يمكن أن تجمع بيني وبين "سافيلا" بعد أن قدمت أخاه

www.liilas.com

للمشنقة ؟ وكنت أعرف جيداً جميع الشوارع الخلفية بين ميداني "ميدافيل" و"مايفير" ، فما إن بلغنا سوق شبرد حتى انحدرت بنا السيارة في طريق متعرج بين شارعي اكسفورد وبيكاديللي ، بينما كان "هنري" يرمقني من حين إلى آخر بطرف عينه .. ودخلنا اخيراً إلى حظيرة للسيارات سرعان ما هبطت أرضيتها بسيارتنا إلى طابق تحت الأرض على عمق يقرب من ثلاثة أمتار ونصف المتر .

ونزل "فريد" من السيارة ليضغط زراً في الحائط فانشق أحد الجدران عن فجوة دخلنا منها مترجلين لنستقل مصعداً إلى طابق عال يشرف على الطريق ، وفيه اشار "هنري" إلى حجرة بها منضدة كبيرة ثم قال لي :

- اجلس هنا يا مسيو "لوبين" وسيتولى "فريد" مسامرتك .

وجلست .. وغاص "فريد" في مقعد إلى جانبي ، بينما مضى الرجل البدين وسائق السيارة خلال دهليز في الركن البعيد .. واستدرت إلى "فريد" فسألني في اقتضاب :

- أظنك تتحرق على معرفة السر في هذه الرحلة الطويلة ؟

فقلت له :

- الواقع أن بي رغبة في الإصغاء .

ولكنه زمجر قائلا :

- إذن يجب أن تنتظر و أن تروض أعصابك على التاني بضع لحظات .

ثم قرأت في أساريره ما نصحني بألا أسترسل في الحديث ، فأخلدت إلى الصمت وأنا اتلهف على الخوض معه في سيرة "سافيلا" و مملكته الصغيرة تحت الأرض في قلب لندن ، ولذلك مالبثت بعد قليل أن قلت :

- سيفطن رجال البوليس إلى تغيبي وسيربطون بين غيابي وبين العداوة المستحكمة بيني وبين "سافيلا" ...

فلم يبد على الشاب أي دليل حتى على رغبته في الإنصات إلي، وكنت أعتزم مع ذلك المضي في حديثي لولا أن قدم زميله "هنري" عائدا وهو يمسك قبعته بإحدى يديه ثم قال لي :

- تعال يا مسيو "لوبين" فإن (الحاكم) سوف يقابلك في الحال..

وكان يبتسم ابتسامة عريضة كأنما يتوقع أن تكون المقابلة بيني وبين "مانويل سافيلا" شائقة تدعو للاغتباط ... من ناحيتهم بالتأكيد!!

ومضيت أتبع "هنري" ويدي ممسكة بمسدسي في جيبي وكلي انتباه إلى فخ قد ينفتح فجاة تحت قدمي . أما "فريد" فظل غائصاً في مقعده وهو يرنو إلي وفي عينيه ما يشبه توديع صديق سيطول تغيبه !

وسرنا في الدهليز على سجاد ثمين لايسمع وقع للأقدام فوقه... وأدركت من جدته أنه مشترى من السوق السوداء ، وما أكثر عملاءها الوثيقي الصلة بـ"مانويل" واخيرا رأيت باباً في الجدار ينفتح امامنا دون أن يمسه "هنري" بيده أو أراه يضغط زراً هنا أو هناك ! وسرعان ما رأيت خلفه حجرة وثيرة الأثاث يتوسطها رجل يرتدي معطفاً رياضياً من صوف الجمل ويلف حول عنقه وشاحا جميلا .. واستدار عند دخولنا عن النافذة فشهقت لرؤيته ومضيت احملق مشدوها إلى وجهه الصبيح الوسيم وشعره الفاحم وعينيه الحادتين وفي ذقنه الذي ينطق بقوة شكيمته .. ثم صحت :

- "نيد كازينو" ؟!

فالتقط علبة السجائر عن مكتبه وقدم لي سيجارة ثم أشعل لنفسه واحدة وهو يقول :

- دخن يا مسيو "لوبين" ..

فأخذت السيجارة منه واستعرت قداحته الذهبية ثم قلت :

- كنت أظنني مدعواً لمقابلة "سافيلا" ولذلك دهشت عندما فوجئت برؤيتك على غير انتظار !

فجلس الرجل على مقعد هزاز وأشار إلى أن أجلس امامه وقال:

- إذن هذا ماظننته يا مسيو "لوبين" ؟ اراك شديد القلق من ناحية "سافيلا" منذ وضعت الحبل حول رقبة أخيه !! ولكن لماذا لم تنشد حراسة البوليس وخصوصا ذلك المفتش الطيب "دافيد سون" ؟!

فاستضحكت وقلت :

- إن التجائي إلى البوليس معناه السقوط من المقلاة إلى النار يا مستر "كازينو" .

- يبدو أنك تعرف الكثير عني .. أليس كذلك ؟

- فقط من الصحف والمجلات التي تنشر صورتك كنجم سينمائي إيطالي الأصل وتشير من طرف خفي إلى أنك ترأس عصابة كبيرة لم يهتد البوليس بعد إلى طبيعتها .

وكذلك قرأت في الصحف شيئاً عن ماضيك في الحرب ، وأنك كنت في فرقة الفدائيين (الكوماندو) في دبيب ونوماندي .

وماذا تعرف عني وعن "سافيلا" ؟

- مجرد شائعات عن العداء المستحكم بينكما .

- وماراًيك يا مسيو "لوبين" في أن تعمل لحسابي مادمت لا تأمن انتقام "سافيلا" ؟

فجذبت نفساً طويلا من سيجارتي ثم قلت :

- أنا سائق سيارة ولا فائدة ترجى مني لك ؟

- هذا ما تدعيه في الآونة الأخيرة تضليلا لرجال البوليس أو لغرض في نفسك ..

ولكن يبدو أنك ترتعد خوفا من "سافيلا" .

- إذن أنت لاتعرفني جيداً .

- وهل أدل على خوفك من سكناك تلك الحجرة الضيقة إمعاناً في الهرب من نقمته .

دعك من التغرير بنفسك وبالآخرين يا "لوبين" !

- بل دعك أنت من محاولة إغرائي بالانضمام إليك بهذا التحدي، ولا أدري كيف تتفق وأنت لاتريد من وراء عصابتك سوى اكتناز المال بمختلف الطرق !

- إن طريقتي في الحصول على المال تمتاز بأنها لا تتطلب جهدا عقلياً أو تستدعي التصبب بالعرق . ولقد حار رجال البوليس في تفهمها ولذلك يرونني لغزاً أو طلسما غسير الحل ، ومازلوا يرقبون كل حركاتي وسكناتي وإن كنت لا أعمد إلى الطرق الملتوية التي يجيدها الأوغاد ! تصورا إنني لا أطيق أن تظهر الصحف خالية من اسمي أو التلميح إلى جهودي الخفية ! إنني أجد في هذه الإشادة بذكري لذة وفخراً كبيرين . وأظننا نتفق كماترى في أن رجال البوليس يحاولون

أن يلصقوا بنا تهمة تسوقنا إلى السجن وفي أن عدونا "سافيلا" مشترك بيننا فلماذا لا نتعاون إذن ؟ إنك "لوبين" الداهية وأنا "كازينو" الذي لايهاب ، وفي وسعك وأنت تحترف سواقة السيارات أن تتردد على جميع الأحياء فقيرها وغنيها دون أن تحوم حولك الشبهات .. فما رأيك في أن اتخذك قائداً لسيارتي في الظاهر ؟ سوف أجزل لك العطاء باعتبارك شريكا وأعدك ألا تمس يداك شيئا يمكن أن تسميه جريمة وكدت أنفجر ضاحكا من هذه العبارات الأخيرة الصادرة من "كازينو" بالذات ، ولكنني آثرت الإخلاد إلى الصمت، فاسترسل يقول :

- إن لي أعوانا كثيرين منهم "سيف" و "فريد" ، و "ونجيت" .. وكلهم ممن أبلوا بلاء حسنا في الحرب ثم عادوا ليجدوا أوغاداً مثل "سافيلا" قد استغلوا السوق السوداء لمصلحتهم وحدهم ، وتولوا عمليات التهريب على نطاق واسع بواسطة سفنهم البخارية الخفيفة وارتفع صوت "هنري ستيف" يقول محذراً :

- "نيد" !

فابتسم "نيد كازينو" وقال لي :

- إن "ستيف" يحذرني من الاسترسال معك في الحديث ولكني واثق أنك ستكون معنا في محاربة العصابات التي تعيث فساداً في السوق السوداء فنحصل لأنفسنا على النسبة المئوية ثم نحيل البضائع إلى التجار الأشراف يبيعونها حسب التسعيرة ! وعلى أية حال سوف تعمل من أجلنا إن لم تعمل معنا مادام لنا عدو واحد مشترك والآن لا أحب أن أحتجزك أكثر من هذا وأشكر لك زيارتك القصيرة .

وهبطت الدرج من الناحية الأخرى بلا (مصعد) حتى بلغت الطابق الأرضي وهناك قال لي رفيقي "هنري ستيف" :

- امض من هذا الباب فوراً .

فسألته :

- لحظة واحدة .. كيف أستطيع الاتصال بـ"كازينو" عندما أريد ؟

فتلفت حواليه ثم قال :

- نحن لا نذكر هذا الاسم في الخارج .. أفهمت ؟

وفعلا فهمت .. بل فهمت اكثر مما كانت تعنيه نظراته الخبيثة .
وتمتم يقول :
- حسناً .. سوف نتصل نحن بك .
ومضيت إلى مطعم تناولت فيه بعض الشاي والشطائر ، ثم ركبت حافلة إلى منزلي .. وقبل أن أصل إلى باب حجرتي برز شبح من الظلام يسألني :
- أأنت "ارسين لوبين" ؟
فخطوت مذعورا إلى الخلف ويدي في جيبي قابضة على مسدسي. ولكن الشبح اضاء مشعله على الفور ، ثم قال في رفق :
- انا من رجال اسكوتلانديارد جئت أدعوك لمقابلة المفتش "دافيد سون" في الحال .
قلت :
- ولكني لم اشترك في شيء يستدعي هذه الدعوة الآن ؟ لعله يقصد شخصا غيري !
- ألست "لوبين" الذي رأى "جوزيه سافيلا" يقتل امراة في سيارته !
- أجل ولكن ...
- ألست "لوبين" الذي كان منذ قليل في زيارة "كازينو" ؟
- وماذا لو كان ذلك ؟
- إذن أنت نفس الشخص الذي يريد المفتش مقابلته في الحال.
فمضيت معه إلى سيارة تنتظر في الشارع الثاني وقد احتلها الضابط "تيكولسن" وشرطي آخر فجلست بجانب السائق مزهوا ولكن الضابط غمغم قائلا :
- لا حاجة إلى إخبارنا بانك قد التحقت بزمرة "كازينو" ولم ار تلك الحاجة فلم اخبرهم بشيء !

الفصل الثاني

عدت من اسكوتلانديارد مزعزع الثقة بنفسي فإن المفتش "دافيد سون" كان ظريفا معي ولم يشا أن يرهقني طويلا باسئلته، ولكنه ابدى الله عندما اخبرته انني لا املك من الاقوال ما افضي به إليه. ثم اكتفى بأن حذرني من الاختلاط باللصوص والمجرمين والمهربين قائلا في دهاء :
- انت طوال عمرك في حرب ضد الأوغاد خارقي القوانين فكيف تختتم حياتك بالاتفاق معهم على حساب الأمن العام ومصالح الناس؟
فاكدت له انه واهم وانني ما عمدت إلى الاشتغال بسواقة السيارات إلا لانني كففت عن نشاطي الذي كان يدر علي الافاً من الجنيهات ابتزها من المجرمين والأغنياء الظالمين ، ولكنه عاد يؤكد لي أن "نيد كازينو" واعوانه عصبة خفية تشتغل في السوق السوداء وتقتني اشياء كثيرة بطريقة خفية لن يلبث ان يهتدي إليها يوما ما ، وانه واثق ان هذه الاشياء تؤخذ بالسرقة والعنف ، ثم تصل إلى ايدي "كازينو" واعوانه فيبيعونها إلى تجار صغار ممن قيدت اسماؤهم بالسجل التجاري ولا غبار على تصريفهم مالديهم من بضائع .
ثم سكت لحظة واستطرد يقول :
- ولا تنس ان "سافيلا" يمقتك كل المقت ، واظن "كازينو" صارحك بذلك ايضا ..
ولم أجب ، فاسترسل يقول :
- إن لديه سيارة كبيرة امريكية تحمل رقماً جديداً ، ولكنني لا ادري كيف حصل عليها مع حظر استيراد هذه السيارات من امريكا ! وإن كنت اعلم ان في زمرته امريكياً يدعى "هانك برودسون" ، كان جاويشاً في الجيش واحد من عملوا مع "كازينو" في "ديب" ، فلما انقضت الحرب عاد إلى امريكا ليخلع بذلته الرسمية ويشتري سيارة كبيرة جاء بها إلى هنا معه .. وما كان في وسع أحد أن يمنعه من ذلك لأن السيارة مازالت مسجلة باسمه ، ولكننا نعرف من يستعملها الآن

بل نعرف سر مجيء (برودسون) إلى إنجلترا :

قلت ساخرا :

- لعله استطاب المكث هنا لان نظام البطاقات في إنجلترا يروق له.

- كلا .. ولكن لان له ماضياً في سجون امريكا .

- أوليس هذا كافيا لأن يجعل إقامته هنا غير مرغوب فيها ؟

- هو ذلك ، لولا انه حصل على وسام الاستحقاق وصليب الخدمة الممتازة ، وإلى أن نثبت عليه بالدليل المادي أحد الماخذ سيظل في مامن من الترحيل والإقصاء

- يبدو أنه و"كازينو" ، بل ومعظم أعوان "كازينو" يمتازون بسجلاتهم الحربية الطيبة الذكر !

- هو ذلك على قدر ما نعلم ، وإن كنت واثقاً أنهم أخطر شرذمة تعمل في الخفاء ثم راح يذرع حجرته جيئة وذهابا ليضع دقائق .. وأخيراً .. وقف امامي ليقول في دهاء :

- لعلك استطعت إثبات التهمة على "جوزيه سافيلا" لأنك كنت على سابق اتفاق مع عصابة "كازينو" فتامرت معها على وضع هذه المصيدة للرجل ودبرتما أن تستقل المرأة سيارتك بالذات ..

وبجهد كتمت الضحك في صدري لأنني كنت أعلم أن المفتش "دافيد سون" لا يقبل بسهولة أي معارضة لما يظنه او يتوهمه .. ولما وجدني أخلد إلى الصمت تركني أذهب وخرجت من "سكتلانديارد" مزعزع الثقة بنفسي لأنني لم أستبعد - بعد إدامة التفكير - أن يكون "كازينو" الداهية قد هيأ للمرأة أن تستقل سيارتي عامداً أن أكون شاهداً على مصرعها بالطريقة التي تمت. ومضيت لفوري إلى مشرب (جركين) لاحتسي كاساً وادخن قليلا قبل أن اعود إلى غرفتي وفيرانها ..

ومضيت اقلب في خاطري هذا الاتهام بأنني انضممت إلى عصابة "كازينو" !! ولم يغشني زهو ما لهذه التهمة التي انا بريء منها ولم أسترح إلى مجرد تصور أن يكون "كازينو" الماكر قد جعل مني مخلب القط في اتهام "جوزيه سافيلا" ليتضاعف العداء بيني وبين أخيه ويتسنى تعاوني مع "كازينو" للقضاء على عدونا المشترك !!

ويقع مشرب (جركين) على ناصية شارع هادئ ولذلك كنت ارتاح

إليه كثيراً واقضي فيه أكثر أمسياتي ، وكانت جلستي بالقرب من الباب ، ومضيت اشعل سيجارة ثم احتسي الشراب ، ولكنني عندما هممت بالانصراف مضيت إلى منصة الساقي وطلبت كاسين من الشراب ازدردتهما بسرعة .. ومالبثت أن سمعت صوتاً يخاطبني :

- لاداعي للعجلة ياسيدي !

فاستدرت لأجد فتاة ترتدي ثوباً أسود ويلتمع شعرها الأشقر ويتثنى قوامها الرشيق ، ولكني لم اشجعها بل قلت :

- آسف .. إنك تضيعين وقتك سدى معي لأن رصيدي في المصرف لايسمح بكماليات في هذه الأيام ..

فاقتنصتني بعينيها الساحرتين وقالت في هدوء :

- انا لست من الكماليات يا مسيو "لوبين" .

وشعرت بما في مسلكي من مجافاة للفروسية والأريحية ، ولكنني آثرت أن أرد على التحدي الواضح في عينيها بعدم الإذعان للتقاليد وعدم الخضوع لفتنتها الطاغية فقلت متهكما :

- ولست في نظري من الضرورات لي كذلك !

بيد انها قالت فيما يشبه الهمس :

- أنا من الزم اللزوميات لك إذا كانت بك رغبة في الحياة فمضيت ماخوذاً بعبارتها المهددة إلى منضدتي السابقة وانا ادعوها قائلا :

- تعالي اجلسي .. ماذا تشربين ؟

- بعض الشراب بالليمون

فاشعلت سيجارة ثم قلت لها :

- والآن من أنت ؟ وكيف عرفت اسمي ؟ ومن أرسلك لمقابلتي وفي اي شان ؟

وكنت حانقا لوعيدها متحرقا على معرفة ماذا تعني بانها ضرورية لبقائي حيا ارزق ولكنها ارتشفت من كاسها ثم قالت في هدوء عجيب.

- على رسلك ؟ سؤالا سؤالا ! ثم لماذا تحملق إلي هكذا ؟ إن اسم ارسين "لوبين" يعرفه كل إنسان .

والواقع أنني تضايقت من لهجتها الساخرة خصوصا بعد أن

أكرمتها وجئتها بشراب الليمون . ويبدو أنها أدركت حنقي فعادت تقول :

- ألق عن كاهلك كل تبرم وابسط أساريرك فما سمعنا عن "لوبين" أنه يبالي بشيء ثم رشفت رشفة جديدة من شرابها واسترسلت تقول في رنة اللائمة :

- ظللت ثلاثة أيام أحاول مقابلتك ولكنك لم تأت أمس إلى هنا وكذلك أول أمس .

قلت مزمجرا :

- كنت متوعكا .

فالتفتت حواليها ، ثم حنت رأسها ووضعت إصبعها القابع في قفازها على شفتيها القرمزيتين ثم قالت :

- خافت من صوتك ليتناسب مع توعكك !! وسوف أجعلك الآن تشعر بأن صحتك أحسن كثيراً .

- ولكن من أنت ؟

- من حقك فعلا أن تعرف ، أنا المرأة التي ستصبح بسببك أرملة .

قلت وقد تولاني الخجل :

- أتعنين أنك ... ؟

- نعم يا "لوبين" . أنا مسز "جوزيه سافيلا" ، لا تجزع فقد خلصتني من ذلك الوغد الحقير ، ولكنك وضعتني في مأزق يستدعي أن تعمل شيئا لإنقاذي منه .

فنهضت على قدمي أقول :

- أصغي إلي ! لقد كرهت كل شيء عن "جوزيه سافيلا" ولا أحب أن أعمل شيئا يتصل به من قريب أو بعيد .. طابت ليلتك .

ومضيت إلى الشارع ، ولكنها سرعان ما لحقت بي بعد دقيقة واحدة وعقباها يضربان في الأرض كأنهما صنج راقصة . وخاطبتني لائمة متذمرة .

- أنا لا أحب أن أشرب على عجل ، وإنه لمن الفظاظة أن تهرب هكذا من سيدة !

- أصغي إلي ..

ولكنها حملقت إلي بوجه صارم نافذ النظرات ثم أخرجت من حقيبتها مسدساً سددته إلى جنبي .. فقلت :

- ابعدي هذا الشيء ولا تكوني حمقاء !

ووقفنا على الرصيف لحظات يتفرس كل منا في الآخر .. ثم قالت :

- أنا يائسة يا "لوبين" .. يائسة جداً .. وإذا لم تساعدني بعمل ما أطلبه منك فسوف أقتلك .

- ولماذا تطلبين ذلك مني بالذات ؟

- لأنك الوحيد الذي يستطيع أن يعمل ذلك من أجلي .

- ماهو (ذلك) الذي تعنينه ؟

- أن تجيئني بالسيارة التي ارتكب فيها "جوزيه" جريمته وكنت تسوقها يوم الحادث ...

فعصف بي الغضب وقلت :

- يالك من مجنونة ! لا يمكنني أن أفعل ذلك . فإن الشركة لا تعطيني السيارة التي اختارها بل التي تختارها هي ، وقد أصلحتها بعد الحادث ولم تخرجها بعد .. ثم لماذا تريدينها ؟

- لايهمك .. جئني بها فحسب .. لقد سمعت شهادتك في المحكمة وفهمت منها أن لك أصدقاء في الحظيرة ، فاستعن بهم في معاونتي أكن مدينة لك بالكثير بعد أن أصبحت مدينا لي بالكثير جداً كذلك .

- أنا مدين لك ؟ كيف بالله ؟

- لقد جعلتني أرملة وسلبتني أختا .

- أختاً ؟ أتعنين أن "ماري فاريل" ، التي قتلها "جوزيه" ... ؟

- نعم "ماري" أختي .

- ولكن هذا لم يظهر في أثناء التحقيق !

فابتسمت ابتسامة واهنة وقالت :

- إن أشياء كثيرة لم تظهر في أثناء التحقيق ! جئني يا مسيو "لوبين" بهذه السيارة فإن فيها شيئا لا يعرف البوليس أنه بها ، ولكنني أعرفه ويهمني الحصول عليه .. عاوني وكف عن وساوسك من ناحيتي وقل لي كم يكلفني إرشاء حارس الحظيرة الليلي ؟

- خمسة جنيهات .

www.liilas.com/vb3 RAYATEEN

فاخرجت خمس ورقات مالية من حقيبتها ، ثم ورقة بيضاء وقلما لتكتب عليها عنوانا ، وقالت :

- جئني بالسيارة في منتصف العاشرة في هذا المكان يا "لوبين" .. ومتى تحققت من العنوان احرق الورقة .

ودفعت النقود والورقة في يدي ثم استدارت ومضت تضرب الأرض بعقبيها العاليين أسرع مما فعلت من قبل !

* * *

ولما طلبت إلى "شارلي ريس" - الحارس الليلي للحظيرة - ان يسلمني السيارة ، قال :

- انت تعرف أن مدير الشركة يضع اسمي في القائمة السوداء ، فهل تريدني أعمل على إذكاء غضبه علي ؟

ولكنني كنت أعلم حاجته إلى النقود وشدة إسرافه ، فلما رأى الجنيهات الخمسة برقت عيناه وسال لعابه ، ثم قال :

- ستحافظ عليها جيدا يا "لوبين" ! أعني ...

فبادرت اطمئنه قائلا :

- لاتخش اي متاعب يا "شارلي" ، وتستطيع إذا حدث شيء ان تقول لمستر "باومان" إنني أوهمتك بانني استاذنته في أخذ سيارتي القديمة . ولاتنس أن السيارات جميعها مؤمن عليها .

ومازلت بالرجل حتى بددت مخاوفه ثم استقللت السيارة ومضيت أسابق بها الريح حتى إذا قطعت ربع ميل رحت انحى على نفسي باللائمة لإقحامها في هذه الحماقة التي قد تدفعني دون ان ادري إلى العمل مع "كازينو" ، ولكن روح المغامرة كانت تذلل لي كل عقبة وتمهد لي كل طريق إلى المجازفات التي اتصيدها وانعم بخوضها مهما سببت لي من متاعب ! ولم ادر ما وراء هذه اللعبة التي ساقتني إليها مسز "جوزيه" العنيدة التي تنطق اساريرها بانها إذا ارادت شيئاً فلابد من إنفاذه وتحقيقه ! والواقع انها استطاعت ان تدفعني إلى مطاوعتها بإيهامي ان هناك حافزاً قويا لا تستطيع ان تغالبه . ولايعني هذا أنني رثيت لحالها لانها ليست من النوع الذي يستحق

الرثاء أو يشعرك به بسهولة ، ولكن كانت لها قوة كامنة تغريك بالانصياع لها بلا تردد .. قوة مغناطيسية لاتقاوم .. وحفظت العنوان الذي اعطتنيه فاحرقت الورقة كما طلبت دون أن أحتاط لنفسي فاحتفظ بها لوقت حاجة تدعوني إلى تبريرمسلكي . ومضيت أردد العنوان في خاطري "بنسيون لارش" شارع أفنيو بهايدبارك" وكنت أعرف أن هذا العنوان لايبعد كثيراً عن حديقة الحيوان وأعرف أنه نال من ويلات القنابل في أثناء الحرب ما جعل مساكنه اشبه باسنان العجوز ، وعبرت شارع "اكسفورد" ثم اتجهت شمال حديقة الحيوان إلى أن بلغت شارع ، أفنيو ووقفت بسيارتي أمام بنسيون لارش .. ويبدو أنه كان يوما ما منزلا انيقاً ثم أهمل فاختنقت حديقته بالاعشاب البرية وانخلعت بواباته الحديدية ولطخت الأمطار جدرانه الخارجية وحطمت نوافذه الرياح حتى ليخيل للناظر إليه أنه منزل مهجور أو أريد أن يبدو كذلك .

وما إن أطفأت أنوار السيارة ثم هبطت إلى الباب ، حتى فتح قبل أن أقرعه أو أضغط زره الكهربائي فادركت أن المرأة في انتظاري . وسرعان ما ارتفع صوتها في الظلام يرتعش بالانفعال المكبوت :

- تعال لتعاونني على فتح باب الحظيرة وإدخال السيارة بها .

ورايتني اتبعها إلى الخارج ثم إلى جانب من المنزل حيث توجد الحظيرة ، واضطررت إلى استخدام كتفي لاقوى على فتح بابي الحظيرة التي كانت خالية إلا من مقعد طويل وأكوام من القش والصحف القذرة . وعلى ضوء مشعل المرأة رأيت فأراً يثب خلف بعض الحقائب المطمورة تحت القش ولكنها لم ترتعد ولم تتحرك أو تصرخ بل قالت :

- حسناً .. هات السيارة يا "لوبين" .

فمضيت إلى السيارة وجئت بها إلى الحظيرة ، فقالت لي :

- دع الأنوار مضاءة وساعدني على إغلاق البابين .

ولما اقفلنا البابين وثبت إلى السيارة وجلست فيها بينما كنت انا اتطلع إليها مشدوهاً ثم سالتها :

- علام تبحثين ؟

وانعكس الضوء من الجدران على عينيها المتقدتين وشعرها الذهبي وعنقها العاجي فاغتبطت بان أتاملها طويلا واتامل عينيها الجميلتين رغم انهما كانتا إذ ذاك تقدحان بالاهتمام . وكانت هي واثقة بسحر عينيها وثوقها من مواهبها ، ولذلك كانت بادية الاعتداد بنفسها .. قالت :

- لقد أخفت أختي شيئا في هذه السيارة يا "لوبين" وأريد أن أعثر عليه .

فسألتها :

- وكيف تعرفين أنها فعلت ذلك ؟

- لأن "نيد كازينو" ليس في السجن .. وأنت تعلم أنك أقللت أختي في هذه السيارة من سانت بنكراس إلى فندق بيللا مونتانا في ميدان بدفورد فلما اقتربت منه وثب رجل على السيارة من الرصيف ، وقد قلت أنت في شهادتك بالمحكمة إنك سمعت راكبتك تقلب حقيبتها ثم تصرخ .

- هذا صحيح .

- ثم فتح الباب عنوة وقبل أن تهبط أنت عن عجلة القيادة كان "جوزيه" قد أطلق عليها ثلاث رصاصات وجرى يحمل حقيبتها في يسراه ويهددك بمسدسه في يمناه وبذلك أتيح لك أن ترى وجهه .

- هذا صحيح

- فلو أن "جوزيه سافيلا" حصل على الأوراق التي كان يريدها من أختي لكان "نيد كازينو" ملقى الآن في ظلمات السجن .

- اتعنين أن أختك تعرفت على "جوزيه" عندما وثب من الرصيف فانتزعت الأوراق من الحقيبة وأخفتها في مكان ما بالسيارة ؟ أليس كذلك يا مسز ... ؟ ما اسمك لتغنيني عن مناداتك بمسز "سافيلا" ؟

- اسمي "جلوريا" ..

والواقع أن هذا الاسم الجميل كان يناسبها تماما . ثم استطردت تقول :

- أنا واثقة أن هذا قد حدث .. فقد قدمت أختي إلى لندن لتتجر مع "سافيلا" مخالفة بذلك نصائحي إذ قلت لها إن "مانويل سافيلا" سبق

أن قتل زوجها من قبل ولكنها لم تشأ أن تصدقني .

ومضت تبحث في أرجاء السيارة من الداخل وتحت الحشيات وخلال كل الثقوب والتمزقات التي تصادفها ولكنها لم تجد أثراً للأوراق ، وكلما انقضى الوقت ازددت شغفاً بذلك العمل .. وأخيراً قلت :

- لقد سبقك البوليس إلى البحث والتنقيب بلا جدوى .

فزوت ما بين حاجبيها وأخلدت إلى الصمت والوجوم .. وران علينا السكون المطبق إلا من حفيف القش كلما تواثب تحته الفار... وفجأة سألتها

- ألم يدر براسك أن أختك ربما أسقطت الأوراق خلف زجاج النافذة أو الباب ؟

فأسرعت إلى حقيبة أدوات السيارة ثم راحت تفك اللوح الزجاجي عن النافذة ثم مدت أصابعها في تلك الفجوة لتخرج الأوراق والدنيا لاتتسع لفرحتها !! وبهدوء توليت إعادة أدوات السيارة إلى مكانها تحت مقعد السواقة ثم عدت إليها وهي تتصفح الأوراق فقالت لي :

- لايهمك مابها يا "لوبين" .

ولم أشأ أن أجادلها فوقفت أمسح أصابعي بمنديلي حتى لايبدو لها أثر داخل السيارة ثم قلت :

- والآن ساعيدها إلى مكانها يا "جلوريا" .

ولكنها قالت والانفعال يشيع في نظراتها :

- لدي ما أريد أن تراه أولا يا "لوبين" أطفئ أنوار السيارة وتعال معي داخل المنزل .

وانصعت لها بقوة إرادتها وجمالها وحب الاستطلاع في نفسي، ومضيت معها نتبع نور مشعلها إلى خلف المنزل ثم هبطنا درجا إلى المطبخ الرطب ، وهناك أشارت إلى باب خفي كشفت عنه عندما سحبت جانبا ستارا سميكا باليا . وفتحت الباب وتبعتها فوق درج متسخ بين جدران تسجت عليها يد البلى خيوط العنكبوت ، وفي نهاية الدرج لمست زراً في الحائط فانفتح الجدار عن "كيلار" واسع يسبح في ضوء برتقالي .. وأمسكت بأنفاسي عندما شاهدت أكداساً من بالات الأقمشة،

وصناديق حاشدة باقخم أنواع الروائح والمساحيق وجميع أدوات الزينة ، وعلباً كبيرة مملوءة بالشاي والسجائر، وغيرها مما لا يتصوره إنسان في بلد يعيش على البطاقات ! وادركت أي متاعب أحملق إليها، ولكنني حاولت أن اتظاهر بالاستخفاف وان أبدد اثر المفاجأة في نفسي فقلت :

- من حسن الحظ أن لم تأت القذران على هذه الأشياء يا "جلوريا".

وأدهشني أنها قالت باسمة :

- ولكنها توصلت إليها .. أنا وانت هذه القذران يا"لوبين".

فقلت :

- ساكتفي منك بقبلة يا "جلوريا" ، ثم اذهب فاعيد السيارة إلى الحظيرة ، ولا أعود أفكر حتى في أنني قابلتك.

فهزت رأسها وقالت :

- وهل تتركني وحدي في هذه المرحلة يا"لوبين" ؟ لا أظنك تقدم على ذلك..

- وأي دخل لي في هذا الشان ؟ ألم تنته مهمتي ..؟

- أتحسبني خطرة يا"لوبين" ..؟

- بل أشد خطراً مما تتوهمين .. ساحاول أن أنساك فحاولي بدورك أن تنسيني.

وخطفت قبلة من فمها القرمزي الحار ، ثم اسرعت ارقى الدرج قبل أن تثنني عزيمتي ، ولكنني ما إن بلغت نصف الدرج حتى شاهدت في الضوء ساقا تمتد وتبينت قدما كبيرة تسدد إلى وجهي! وحاولت أن أروغ منها فهوت على كتفي بقوة جعلتني أتدحرج على الدرج ، ثم سمعت صوتا أجش يصيح بـ "جلوريا" :

- الله يا امراة وإلا ...

وارتطم ظهري بالأرض وشاهدت رجلا يرتدي معطفا ويمسك بإحدى يديه فوق القفاز مسدسا ضخما ، ثم رأيت قبعته منحرفة على راسه وتبينت عينيه تدوران في "الكيلار" بحذر ... وتوقف في منتصف الدرج ليستدير خلفه ويقول :

- تستطيعين أن تهبطي يا"ليل".

ونهضت أتطلع إلى"جلوريا" وقد استلقى عند قدميها مسدسها الذي رمته من يدها مستسلمة .. وكانت تحملق إلى الزائر ، ثم رأيت نظراتها ترتفع وعينيها تتسعان في دهش فاستدرت لأرى شابة فاحمة الشعر سمراء اللون تهبط الدرج متبخترة كانها (سندريلا) وهي تدخل عربتها البلورية الأنيقة ! وكانت عيناها واسعتين كقرصين كبيرين ..

وسرعان ما ازاحت الرجل جانبا ، ثم تقدمت نحو "جلوريا" وعلى فمها ابتسامة من النوع الذي يغلق الحجر الجرانيت فصاحت بها "جلوريا" كالنمرة الضارية :

- إن لك يا أختي العزيزة موهبة رائعة في العثور على الأشياء التي لم تكن ضائعة ولكنك ستندمين عليها يوما ما ..!

وارتدت السمراء الجميلة خطوة إلى الخلف كانما أخذت بذلك التهجم وتلك السخرية بينما تفرسني الرجل طويلا وأنا أنهض من كبوتي ثم صاح مبغوتا :

- هيا ؟ أنت "ارسين لوبين" .. السائق الذي شهد على "جوزيه"!

وقبل أن أفطن إلى نيته كان مسدسه يهوي بعنف على راسي فترنحت وسقطت على الأرض والكيلار يدور حول عيني الزائغتين، ولكنني ظللت هادئا ووضعت يدي على وجهي أمسح الدماء باصابعي، بينما كانت اذناي تتنصتان فسمعت السمراء تقول للرجل:

- هون عليك يا "لاري" ولاتنس نفسك !

ولكن "لاري" العملاق وقف متصلب العضلات يحملق إلي بنظرة المتني أكثر من ضربته ثم قال معترضا :

- يجب أن أخلع له أسنانه فقد وشى بـ"جوزيه" ويستحق أن اقطع اذنيه !

وظللت على الأرض مؤثرا الا اتعرض من جديد لاعتداء ذلك الوغد الذي عاد يصيح بي :

- قم .. انهض .. أيها السائق !!

واضطررت أن أقف على قدمي في حذر وعلى بعد يقرب من المترين منه وسرعان ماجذبتني السمراء المرحة الأعطاف بيدها الناعمة ، فرحت اتامل جمالها كما اتامل صورة حسناء على علبة شوكولاته.

ورأيت في أغوار عينيها الحالكتين سحراً يلتمع وجاذبية تتألق ... إلى أن قالت :

- لقد تساءلت كثيراً يا "لوبين" عن سر تطفلك ووشايتك باخي زوجي . أتعتقد أن "جلوريا" جديرة بأن تقحمك هكذا ؟!

وكان كلامها معسولا رغم مرارته ، فقلت :

- أنا لا أدري ماذا تعنين وعم تتكلمين !

فافترت شفتاها عن أسنان ناصعة ثم هزت كتفيها . ونفذت في أنفي رائحة العطر الغالي الذي يفوح منها ولا يمكن أن يوجد له مثيل في الأسواق العادية ، ثم انشأت تقول :

- أنا أتكلم عنك وعن "جلوريا" . والواقع أنني لاأدري لماذا تزوجت "جوزيه" ولكنني أظن ذلك كان نكاية بـ"نيد كازينو"

ورنوت إلى "جلوريا" فوجدتها هادئة الأسارير مبهمة التعابير .. واسترسلت السمراء تقول :

- أما لماذا تزوجت أنا "مانويل سافيلا" فلكي أغيظ "جوزيه" أخاه .

وتأملت "لاري" العملاق ثم استطردت تقول :

إن "لاري" ولد طيب يفعل كل ما أمره به ويعنى بي عند الحاجة

وأدركت مبلغ حقد كل من المرأتين على الأخرى لأسباب على اختلافها متشابهة

وظل "لاري" يتفرسني بعيني خنزير ، بينما قالت "جلوريا" تسأل السمراء :

- وماذا يقول "مانويل" عندما يكتشف الحقيقة وأنك تجرين خلفك "لاري" على الدوام؟

فصاحت بها :

- أأنت التي تتكلمين عني يا قذرة ! لقد أفسدت ما بيني وبين "جوزيه" ، وهاهي ذي فرصتي للانتقام . لقد ظل "لاري" يتأثر خطاك حتى دهمناك الليلة .. في الوقت المناسب !

ثم تطلعت حواليها في الكيلار وعادت تقول :

- أهذا أحد مخازن "جوزيه" الخاصة ؟ لقد احتفظت به لنفسك واتفقت مع "أرسين لوبين" على تصريف ما به .. "أرسين لوبين" الذي

دبر مقتل أختك بأن أقلها إلى حيث كان "جوزيه" في انتظارها !!

ورنوت إلى "جلوريا" فرأيتها تطرق إلى الأرض كأنما يساورها الشك في الدور الذي لعبته في مصرع أختها . وسرعان ما قالت السمراء الجميلة :

- حسنا يا "لاري" فلنذهب بهما ورفع "لاري" مسدسه ثم قذفني بنظرة عدائية حانقة وصاح :

- ألم تسمع ؟ هيا أمامي !

وتقدمت "جلوريا" بضع خطوات نحو الدرج ، ثم توقفت تسأل:

- ما فكرتك يا "ليلان" ؟

فضحكت الحنطية اللون ، ثم قالت ساخرة :

- ستري ... وقد تحسين وتخمنين .

وارتقت "جلوريا" الدرج وأنا من خلفها ثم "لاري" مسدداً مسدسه في ظهري .

ومالبث أن قال لـ "جلوريا" :

- لاتجري أيتها السيدة إذا أردت ألا يصيب "لوبين" ثقب في ظهره..

فتمهلت "جلوريا" .. ثم وقفت في المطبخ تتلفت حواليها في اكتئاب بينما كنت أخرج من المدخل الخفي ... واعتزمت أكثر من مرة أن أركل "لاري" بقدمي ركلة تحطم وجهه الدميم ، ولكنني لم أكن واثقاً بجدوى ذلك فأقصيت ذلك الإغراء . وصعدت السمراء (ليل) وهي تبطئ في سيرها ثم دفعت الباب الخفي بقدمها فانصفق بصوت عال وارتفعت منه سحابة من الغبار وسحب "لاري" الستار المشمع البالي فوق الباب ثم نصب قامته وسأل وهو يشير بقدمه إلى الكيلار :

- من الذي زود "جوزيه" بكل هذه البضائع ؟

وظننته يحدث "جلوريا" ، ولكني تحققت من خطئي عندما لكز أذني اليسرى وقال :

- أنا أسألك أنت !

فقد كان رجلا لا يحب أن يكرر كلامه .. فبادرت "جلوريا" تجيبه قائلة :

- إن "لوبين" لا يعرف شيئا عنها .

فرنا إلى "ليل" وقال :

- لا يعرف ؟!

وسالته (ليل) ماذا خطر بباله ، فقال لها :

- إذن تستطيع أن تتصرف فيها دون إزعاج "مانويل" ، فهو مشغول جداً كما تعلمين

- وهل تقوى وحدك على ذلك يا "لاري" ؟

فاوما براسه وقال :

- بالاستعانة بعصابة "فنزبوري" إذ تستطيع ان تنقلها إلى برمنجهام أو مانشستر أو كار ديف .. ثم .. الا يحتمل انها تعلم عن مخابئ أخرى لـ"جوزيه" يمكن أن تتصرف فيها كذلك ؟ إنه مدين لك بالكثير .

- أوه .. دعك ممن يدينون لي أو أدين لهم ! إن فكرتك لا باس بها فحسب ، ولكن الا يحتمل أن يرجا التنفيذ في "جوزيه" .. ؟

- هذا مستحيل لأن "ارسين لوبين" قد أدانه بمالا يقبل اي شك

فقالت "جلوريا" :

- وإذا قابله "مانويل" فاخبره ؟

فحملقت إليها السمراء وقالت :

- من السهل أن نحمله على الاعتقاد بانك انت التي تصرفت في كل شيء وابتسم "لاري" ابتسامة بغيضة وقال :

- يالك من فتاة رائعة يا (ليل) ! ولكن يجب أن نتخلص من هذين الاثنين ..

فما رايك في أن نجعلهما يظهران بمظهر المنتحرين وخصوصاً أن حوادث المنتحرين غدت (موضة) جديدة في هذه الأيام : سيارة في طريق ريفي .. وجثتان .. ومسدس في يد الرجل .. هذا كل ما يتطلبه الأمر !

- كلا .. كلا .. لقد حاول "جوزيه" أن يلعب هذه اللعبة فكان نصيبها الفشل والوبال .

- آه .. ولكن "جوزيه" كان مهملا فترك "لوبين" يتكلم .

- كلا .. كلا .. لناخذهما معنا .

- وماذا تنوين العمل بهما يا (ليل) ؟ وإلى اين اخذهما ؟

- سوف تترك لـ"مانويل" تقرير مصيرهما بعد أن نتخلص نحن من هذه البضائع .. سنتركهما ليوم او بعض يوم في متجر شارع باك أي إلى أن تطهر لنا عصابة "فينزبوري" المكان مما فيه .

ولا باس أن نقدم لـ"مانويل" هدية رائعة .. هي "لوبين" ! أما "جلوريا" فسوف يكون لها معه شان لانه كما تعلم يكره أن تعاديه الشقراوات !!

فرايت "جلوريا" ترتعد .. ولم ير "لاري" أن يجادلها طويلا لانه تلقى الرد ، فمضى إلى الباب الخلفي وفتحه ، فإذا بالهواء البارد يهب إلى المطبخ وإذا بصوت مجلجل حاد ينبعث فجاة ، وإذا بالعملاق "لاري" يصيح بالالم والمفاجاة ويسقط مسدسه على الارض !! وصاح يقرض على أسنانه بالغضب :

الفصل الثالث

وقدم "كازينو" يرتدي معطفا متسخا ويمسك في يمناه مسدسا من النوع الصامت الذي لايسمع لطلقاته دوي .. ومن خلفه ثلاثة أشباح أخرى .. عرفت منها شبحي "ستيف" و "فريد"، وظل الثالث غريبا عني إلى أن تحدث إلى "نيد" قائلا :

- يبدو أننا جئنا في الوقت المناسب !

فأدركت من لهجته أنه الأمريكي "هانك برودسون" الذي اشترك مع "نيد كازينو" في موقعة دييب ، وكانت عيناه حادتين ثاقبتين ، ولكن فمه كان مسترخياً ناعماً رقيقاً كفم طفل صغير يبتسم لأتفه باعث أو لغير سبب ظاهر ومالبث "نيد" أن خاطبه قائلا :

- إليك مسيو "أرسين لوبين" يا "هانك" .

فأومأ برأسه إليّ وقال لي :

- سمعت أنك انضممت إلينا يا "لوبين" ؟

فتطلعت إلى "كازينو" لأجده يتحداني في جرأة أن أنكر هذه التهمة . فلم أعترض بل راقبت "هنري ستيف" وهو يتقدم نحو "لاري" ثم يكيل له أعنف الصفعات بينما وقف "فريد" بالقرب من الباب ويداه في جيبي معطفه . وسرعان ما تبينت أن "كازينو" و"جلوريا" يتطلع كل منهما إلى الآخر ويتبادلان حديث العيون الذي تقصر عنه الألسنة ! ولم يفيقا من وجومهما الزاخر بشتى الانفعالات إلا عندما قالت "ليل" ساخرة :

- لماذا لايلتهم كل منكما الآخر ؟!

وإذ ذاك قال "كازينو" :

- أدخلهما السيارة يا "فريد" وقل لـ "هاري" أن يضبط نفسه ، وسوف نتبعكم "هانك" وأنا، في سيارة "لوبين" فقد أحسن بإحضارها .

ورأيت المرأتين و"لاري" يخرجون إلى الظلام ثم يستقلون السيارة ، ثم قال لي "ستيف" :

- أخرج السيارة من الحظيرة .

وما إن فعلت حتى ركب "كازينو" ورفيقاه وأهاب بي "ستيف" أن أتبع زميله "هاري" الذي كان يقود السيارة الأمريكية الكبيرة في غير ماعجلة . وعبرنا لندن بأحيائها الكبيرة التي دمرتها الغارات شر تدمير ولم ينطق الراكبون خلفي بحرف إلى أن انحدرت جانباً في طريق "وست انيد" فصاح بي "كازينو" :

- أطفئ أنوارك يا "لوبين" .

وامتثلت لأمره كأنني أحد صبيانه . وعاد بعد لحظات يقول :

- قف هنا . هذا يكفي .

وهبطنا فمضى "ستيف" إلى السيارة الأمامية وعاد بشيء مثبت على أذنيه ومتصل بصندوق مربع أمامه برز منه عود رفيع من الصلب أخذ يهتز كلما تحرك . ورأيت "فريد" يحمل مثل ذلك الشيء . فسألت :

أي نزهة هذه ؟ ماحاجتكم إلى أجهزة الإذاعة هذه ؟

فالتفت "نيد" إلي وقال لي باسما :

- نحن نجاري الزمن ونتمشى مع العصر يا "لوبين" . وهذه آخر الوسائل لتحاشي رجال البوليس .

وفتحنا نافذة جانبية لأحد المصانع فأسرع "نيد" يتسلقها ثم غادرنا ليضع لحظات عاد بعدها من باب دعانا إلى الدخول منه . وتقدمنا "برودسون" الأمريكي وهو يحمل مشعلا مظللا كأنما يعرف الطريق جيداً . وليس ثمة داع للعجب لأنه كان يحمل صورة تخطيطية للمصنع ومن خلفه سار "فريد" ثم المرأة ثم "لاري" وبقيتنا دون أن ينبس أحد منا ببنت شفة .

وكانت مهمتنا أشبه بمهمة الكوماندو .. وتطلعت إلى وجه "نيد" فألفيته شاحبا لاينم عن شيء وإن رأيته يمشي بخطوات رشيقة تدل على مبلغ اغتباطه لهذه المهمة . ونظرت إلى المرأتين فوجدتهما تسيران معاً صامتتين أشبه بشبحين على ستارة وكأنهما تتحركان بلا حياة ومن خلفهما "لاري" الضخم يضع منديله على يده اليمنى المخضبة بالدماء .. أما وجهه فكان مختفياً تحت ظل قبعته العريضة الحافة . وكان يجر ساقيه جر المكدود الذي يرهقه التعب بينما كان يرتجف من المسدس الذي يحمله "كازينو" في يده .

وبلغنا دهليزاً طويلا حجريا ثم دخلنا من باب خشبي عال إلى درج متاكل هبطنا عليه دون أن ينبعث وقع إلا من قدمي واقدام المرافقين لأن الرجال الآخرين كانوا ينتعلون أحذية من المطاط . وتنقلنا بين صناديق عالية تصل إلى السقف المظلم ... وأخيراً فتح "فريد" باباً آخر لنهبط درجا آخر خلفه ثم نسير خلال دهليز طويل أدركت من رطوبته اننا غدونا تحت مستوى النهر أو عند رصيف ميناء على البحر . وفي نهاية الدهليز وجدنا باباً مواربا ورأينا بصيصا من النور . فركل "فريد" الباب بقدمه ثم غمغم ببضع كلمات إلى "ستيف" خلال مكبر الراديو «الميكروفون» . واحتشدنا اشبه بحزمة لنحملق إلى ما كان في وسط الحجرة أمامنا . فشاهدنا حارس الليل مقيدا إلى مقعد وقد كمم فمه ! وكنت أظن "كازينو" قد أحكم خطته فإذا بي أفاجأ بدوري بأن إنساناً سبقه وانتصر عليه ... إنساناً جاء قبله إلى هنا .. وارتجفت أوصالي خشية أن يكون رجال البوليس هم الذين سبقونا إلى هذا المكان . وشاهد "كازينو" رعدتي فقال لي ساخراً:

- هون عليك يا "لوبين" ولاتجعل عرقك يتصبب فتصاب في هذه الساعة ببرد !

وتطلع إلى ساعته ثم قال :

- سيتصل بنا "برت" بعد ثلاث دقائق ... تقريبا .

وتقدم "برودسون" الأمريكي إلى الحارس الليلي يتحسس حباله ثم قال :

- هذا عمل هواة يا "نيد" لايجوز حتى على رجال البوليس ولايمكن أن يجوز علينا نحن !!

وسمعت "لاري" يغمغم ببضع كلمات مبهمة وقد برقت عيناه برعب لايعدل ما غشيه عندما فوجئ برؤية "كازينو" في بنسيون لارش ! ومضى "كازينو" إلى الحارس الليلي وانحنى عليه ثم راح يتامل وجهه مليا .. كان وجها قذرا تتوسطه عينان صغيرتان تمتلئان بالرعب وقد نما شعر لحيته .. وارتفع صوت "كازينو" يقول :

- انت "بيتر رولنجز" وإياك أن تضيف شيئا إلى روايتك لرجال البوليس التي اتفقتم عليها . واحذر أن تذكر اسماء او شيئا غير ما

تدربت عليه مع أعوان "سافيلا" .

فارتعدت أوصال الحارس وتولته غصة كادت تخنقه عندما تامل المسدس في يمنى "كازينو" مسددا إلى راسه فاطرق يائساً إلى الأرض . وفي تلك اللحظة رن جرس التليفون واشار "فريد" إلى مكانه على منضدة خلف أكداس الصناديق . فمضى إليه "برودسون" ورفع سماعته . وتكلم هامسا بحيث لم نسمع شيئا مما قاله . ولما أعاد السماعة إلى مكانها عاد يقول في بطء :

- إن "برت" والأولاد اقتنصوا اللوريين . عربتي نقل "سافيلا" ، عند المنحنى الأيسر لنهاية شارع باك، وكل شيء على مايرام تبعا للخطة المرسومة .

فأخرج الأمريكي من جيب معطفه مفتاحا كبيراً بصامولة ناوله لـ"كازينو" الذي قدمه بدوره إلى "لاري" قائلا :

- خذ هذا المفتاح .. كلا .. بيدك اليمنى .. أزل هذه الضمادات!

ولم ترق المهمة لـ"لاري"، والقى نظرة إلى "ليل" ولكنها كانت عابسة متجهمة الأسارير بادية الحيرة والارتباك وهي تتامل "كازينو" وتكاد تمزقه بنظراتها.. وتطلعت بدوري إلى الشقراء فوجدتها واقفة في مكانها منتصبة القامة تحاول أن تستسلم لما يدور أمامها وأن تبدد الخوف الذي يستبد بها . وببطء .. خلع "لاري" منديله عن يمناه . ثم أمسك المفتاح بقوة ألمته ... وأشار "كازينو" إلى "رولنجز" ثم قال :

- اضربه يا "لاري" على جانب راسه .. اضربه ولو انه من رجالكم .

ولكن "لاري" صاح حانقا راعداً :

- إن بصماتي ستكون على هذا المفتاح ذي الصامولة اللعين؟

فاقترب منه "ستيف" وخاطبه ساخراً :

- يبدو أن نوبة من الذكاء قد اجترفتك فجاة أيها الوغد .

وتراجع "لاري" مذعوراً وهو يصيح :

- كلا .. كلا .. هذا فخ منصوب لإعدامي ولم ذاك ؟ صاح فيه "برودسون" الأمريكي قائلا :

- إما أن تفعل هذا أو نطلق على رأسك رصاصة من مسدسك. ثم يعثر عليك البوليس ويتشفى "سافيلا" عندما يدرك انك جررت مسز

"سافيلا" إلى هنا لتنقذ جلدك .

ورأيت السمراء ترتجف ، وارتفعت يد "لاري" تمسح فمه المرتعش وتلطخ انفه بالدم ثم تامل الحارس الليلي الموثق لحظة افاق بعدها إلى صوت "كازينو" الساخر يقول:

- إن "سافيلا" لايعرف الطريقة التي تتبعها في ملازمة "ليلان" كظلها، ففكر جيداً فيما يعتقده عندما يجد العربتين الحاشدتين بالاقمشة والراديوات المعدة للتصدير لم تصلا إلى مخازن شارع باك ، ثم يجدك هنا مصابا برصاصة من مسدسك ! ماذا تظن "ليل" تستطيع ان تقوله لتنقذ جلدك ؟

فعصف الغضب بالسمراء وقالت ضارعة :

- لاتصغ إليه يا "لاري" هذا غير صحيح .. هذه لعبة قذرة إياك أن تتورط فيها !

وعندما سألها :

- كيف .. ؟

ازدادت غضبا وصاحت فيه :

- اتصدقني أو لا تصدقني ؟!

فلعق شفتيه بادي الغباء ثم تقدم إلى الرجل الموثق . وحاول "رولنجز" ان يلوي رأسه بعيداً عن الاذى ولكنه بذلك اتاح هدفا كافيا للرجل الذي اهوى عليه ثم القى المفتاح على الأرض . ولم أبعد عيني ولم اتالم كانني اشاهد (فيلما) سينمائيا لان كل تفكيري كان منصبا في اننا بلغنا ذروة المغامرة الليلية العجيبة .. وإن كنت وجدتني بعيدا عن مسرحها كانني اشاهد خلال ستارة غير مرئية اولئك الآخرين وهم ينصاعون إلى غرائزهم ودوافعهم التي لاصلة لي بها على الإطلاق . أو هكذا خيل لي أن وجدت يد "جلوريا" تتشبث بذراعي ورايتها ترنو إلي بعينيها البنفسجيتين وتقول :

- لاحق لهم يا "لوبين" في أن يفعلوا هكذا معك !!

ولم ادر ماذا كانت تعنيه بل لم اقو على البدء في التفكير فيما تهدف إليه قبل أن يتقدم إليها "كازينو" ويخاطبها في برود :

- في وسع "لوبين" أن يقرر ما يروق له فلا تحاولي إرشاده أيضا .

وحرت قليلا ثم ومضت بخاطري الكلمات التي دارت بين المراتين في كيلار البنسيون وتذكرت كذلك أن "جلوريا" تحتفظ معها بالأوراق التي عثرت عليها في السيارة . وكان محتملا أن أقول شيئا لولا أنها ظلت ترمقني بعينيها البنفسجيتين في رقة تفيض بكثير من المعاني ثم قالت :

- عد بي يا "لوبين" واعد سيارتك فلا اريد أن أجلب عليك المتاعب بسببي .

وتصنعت أن تبدو كلماتها خالصة رغم ما كان يكلفها ذلك تحت سمع ونظر "كازينو" الذي قال لي برئة الأمر :

- انزلها يا "لوبين" عند هايدبارك ثم اعد سيارتك واذهب إلى مشرب جوني وابق به حتى يوافيك "هاري" . وابتعد عن شارع أفينو متذكراً ما جرى للقطة بسبب حب الاستطلاع !

فقلت :

- حسناً

والقيت إلى الحارس الليلي نظرة عاجلة تبينت منها أن جلد راسه مفتوح وتنبثق منه الدماء .. وسار "ستيف" بي وب"جلوريا" إلى السيارة .. وعندما اتخذت مكاني خلف عجلة القيادة سمعته يهمهم ببضع كلمات في مذياعه ،وأسرعت انهب الطريق بعد احداث بضع ساعات مروعة ..

* * *

وقبيل بلوغي هايد بارك دقت "جلوريا" على الحاجز الزجاجي فابطات في السير ثم توقفت وإذا بها تدفع إلي في الظلام قصاصة من الورق وهي تقول في صوت شائق رقيق :

- اتصل بي تليفونياً بعد يومين يا "لوبين" بهذا الرقم فقد احتاج إلى معونتك فقلت :

- ولكنني لست في مركز يسمح بان ...

ولكنها أجابتني ضارعة وهي منحنية إلى الأمام لانني شممت شذا عطرها :

- لاتقل الآن شيئاً يا "لوبين" .. ولا تفكر كثيراً ..

www.liilas.com

- ولكنك و"كازينو" ...

- كلا .. كلا .. ليس من العدل أن تسألني الآن يا "لوبين" .

ورغم ذلك ازددت غضباً وبدأت أنتقي فيضاً من كلمات الاحتقار التي يمكن أن تلدغها ولكنها ابتدرتني قائلة :

- من الخطر أن يعصف بك الغضب بلا داع حقيقي .

ثم التقطت أنفاسها كأنما يؤلمها الحديث ، ثم قالت ضارعة :

- أرجوك أن تفعل ما أطلبه منك يا "لوبين" .

واندفعت إلى هايدبارك حيث هبطت دون أن تنطق بحرف ، وظللت أرمقها وهي تعبر الطريق وقد ألهبت رأسي الشكوك ممتزجة بخيوط من الأمل .. حتى إذا اختفت عن ناظري ، مضيت إلى الحظيرة حيث أودعت السيارة ولم أجد "شارلي ريس" هناك .

فتناول مني أحد العمال السيارة دون أن ينطق بحرف مكتفياً بأن يصعدني بنظرة عابرة لحسن الحظ .

واشعلت سيجارة ثم ذهبت إلى مشرب جوني ، وما إن فرغت من فنجان قهوتي الثاني حتى فتح الباب الزجاجي وظهر من خلفه "هاري" .. وقدم ليجلس بجانبي ثم طلب لنفسه فنجان قهوة، وأخرج علبة سجائره وقال لي من فوق لهيب قداحته بركن من فمه:

- سوف تقض مغامرة الليلة مضجع "مانويل" الذي أراد أن يسخر بنا فقوتنا غرضه عليه ..

فسألته :

- وكيف عرف "نيد كازينو" بغارة البنسيون ؟

وكان يتناول فنجان قهوته من الساقي ويطلب (شطيرة) .. فلما انصرف الرجل قضم ملء فمه من الشطيرة ثم قال ساخرا :

- يجب أن تجيد ما هو خير من إلقاء الأسئلة السخيفة !

وحرص على أن يحمل عبارته رنة المباسطة والصداقة ، ولكنني لمست رنة التحذير خلف هذه الصداقة وعولت على أن أكون حريصاً مادام أعوان "كازينو" ليسوا من النوع الذي تنساب منهم الكلمات في ساعات الفراغ بسهولة ، ومادامو يتشككون في كل إنسان .. فطلبت

شطيرة بدوري حتى إذا التهمتها مضينا إلى ميدان ليشستر حيث كانت سيارة صغيرة في انتظارنا ، وتولى هو قيادتها إلى شارع خلف محطة فكتوريا وهناك أودعها حظيرة ثم تقدمني إلى منزل كبير يتصدره عمودان ضخمان .. وفتح الباب بمفتاح (سقاطة) ثم ارتقينا درجا قاتما إلى أن بلغنا بسطة واسعة فتح عندها بابا آخر وهو يقول :

- يمكن أن تسمي هذا منزلا لبضع ليال يا "لوبين" .

وتاملني ونحن داخلان إلى الغرفة ليرى مبلغ ارتياحي إليها ، ولكني رحت اتلفت في انحائها ، وكانت تضم فراشين متماثلين كانهما توءمان ومائدة وبضعة مقاعد .. وكان أثاثها قديما ولكنه ثمين تتوفر فيه أسباب الراحة . وقلت في حذر :

- ماذا لو أن "رولنجز" لم يوضح أن "سافيلا" قد هيأ تلك الغارة وأصر على الإنكار ؟

فقاطعني قائلا وهو يغوص في أحد المقاعد :

- لن يحدث هذا ..

- وإذا حدث ؟ ألا يعتقد البوليس إذ ذاك أن "كازينو" مسؤول عن ...

فقال وهو يرمقني بعينيه ويخلع حذاءه بيديه :

- لن يقووا على إثبات شيء على "نيد" .

- وسوف لا يعثرون علي في غرفتي فيعتقدون أنني مختبئ وربما ساورتهم أفكار أخرى ...

وصمت لأنني أيقنت أن ما أرمي إليه لم يتجل تماماً فيما قلته ، إذ بدا الضيق على "هاري" وقال :

- إن "نيد" لا يحب المتشائمين ويحسن أن تدعه يرتب كل شيء حسبما يراه مادمت قد انضممت تحت لوائه .

ولكنني غمغمت قائلا :

- أنا لم أوافق على الانضمام تحت ذلك (اللواء)

- كذا ؟ ولكن ذلك يضمن لك عملا جديداً .

- أهو سواقة سيارة أعماله ، بينما تمضي أنت تقود سيارة ذلك

الامريكي؟

- لاأظنه اختارك من بين الناس جميعا لهذا العمل وإنما لا شك لسبب آخر وسرعان ما تجاهلني لياوي إلى فراشه ويسلم عينيه للنوم وفي الصباح تناولنا فطورا خفيفا كان "هاري" قد أعده قبل أن أستيقظ في الساعة الثامنة . وبعد ساعة كنا في المكاتب خلف سوق شبرد حيث أعطاني "ستيف" عشرة جنيهات وعنوانا أذهب إليه بعد الغداء فلما تنزهت على قدمي ساعتين مضيت إلى المشرب لأحتسي قدحا من القهوة وجاءني هناك فتحدثنا بعض الوقت وطالعنا في الصحف خبر سطو الليلة السابقة ونشاط سكوتلانديارد في البحث عن المشتغلين بالسوق السوداء! وأدركت أن حريتي لن يطول أمدها وقرأ "فريد" مايجيش بخاطري فقال:

- لاتشغل بالك واترك كل شيء للحاكم .. "نيد كازينو".

وخرجت أتسكع قليلا إلى أن حان موعد الغداء فتناولته بشهوة فاترة . ثم مضيت إلى العنوان الذي أعطانيه "ستيف" لأجده محل خياط للرجال . واستقبلني في الداخل رجل قصير القامة معسول الألفاظ منمق العبارات .. ولما افضيت إليه بسبب مقدمي ابتسم في وجهي ابتسامة عريضة وبالغ في الترحيب بي وهو يقول :

- لاشك أنك مستر "أرسين لوبين" . تعال إلى الداخل .. تفضل.

وقادني إلى حجرة داخلية ثم راح يخلع عني سترتي وصداري ثم ياقتي ورباط رقبتي ليقيس لي بذلة جديدة وهو يدندن مغتبطا كأنما يؤدي مهمة حبيبة إلى نفسه ! ولم أشأ أن أفاجئه بأنني لا أملك سوى عشرة جنيهات إلى أن زودني بقميص ورباط وبذلة من أجود الأنواع فقلت :

- هذا رائع جداً ولكنهم لم يعطوني ما يكفي من النقود لكل هذه الأبهة !

فحملق إليّ لحظة كأنما أرعبته بحديثي . ثم لوح بيده وراح يقضم أطراف شاربه الكث في قلق أزعجني . ولكنه مالبث أن حدثني ضارعا :

- أرجوك .. أرجوك الا تذكر النقود فأنت قادم من عند "نيد" .. "نيد" الذي يرجع إليه وحده الفضل في انتشالي من وهدتي عندما كسدت

سوقي ولم أجد متراً واحداً من القماش . إن ما اقدمه له ولرجاله لايعدل ذرة من أياديه البيضاء علي وعلى أمثالي .

ولم أدر بماذا أجيب . فاطبقت فمي ورحت أتامل نفسي في المرآة وقد عدت مرة أخرى "أرسين لوبين" الذي كثيراً ماغزا قلوب النساء في باريس ولندن وغيرهما من العواصم . وعدت إلى المكاتب خلف سوق شبرد وانا أحس بانني أشبه بشحاذ ببغداد قابل "هارون الرشيد" في عصر أحد الأيام فخلع عليه من ملابسه وكرمه ما خلق منه شخصا جديدا يخلب الأبصار والألباب !

وجعل "ستيف" يصعدني بنظراته ، ثم قابلت "برودسون" فبرقت عيناه إعجابا بي .. وبمظهري الذي ردني عشر سنوات إلى الوراء. وقال لي رجل قصير لم أره من قبل إن "كازينو" يرغب في مقابلتي ، فمضيت لأجده جالسا إلى مكتبه ، وبعد أن رنا إلي باسماً دعاني في رفق وتودد إلى أن أجلس ثم قدم لي علبة سجائره ، فجلست وأشعلت سيجارة رحت أنفث دخانها لحظات دون أن نتبادل الحديث . وأخيرا سألني :

- ماذا يقلقك يا "لوبين" ؟

فقلت متجاهلا " اهناك حقا ما يقلقني ؟

ولما أومأ برأسه إيجابا قلت :

- هل أخبرك "هاري" بشيء ؟

- نعم . ولتكن صريحاً معي فعهدي بك الجراة والإفصاح علانية عما يجيش في نفسك .

- لقد اخبرتني بالأمس أنك تريدني على أن أعمل معك وقد فكرت جيداً في السبب !

وانتهيت إلى نتيجة واحدة وهي أن السبب الذي افضيت به إليّ غير حقيقي

- وهل اهتديت إلي السبب الحقيقي ؟

فشعرت بغصة في حلقي سرعان ما تغلبت عليها وقلت في بطء:

- الذي فهمته أنك أردت العثور علي قبل مسز "جلوريا" . هذا هو السبب .

فضاقت عيناه وانفاسه ثم غمغم :

- هيا استمر .. تكلم .

- لقد اخبرتني مسز "جلوريا" انها ظلت تبحث عني عدة ايام إلى ان عثرت علي ولكنك وجدتني قبلها وكنت تعلم برغبتها في الاتصال بي فسبقتها إلى ذلك ليكون زمامي في يدك يا "كازينو".

فابتسم واضطجع بظهره على مقعده ثم قال :

- إما أنك تحاول تحليل شخصيتي يا "لوبين" وإما انك تحاول فقط ان تخلق لي بخيالك شخصية جديدة .

- اتريد ان تقول إنني واهم ؟

- لنفترض انك لست واهما وانك نجحت في تحليل شخصيتي فماذا بان لك ؟

- بان لي انك تحب "جلوريا سافيلا" .

- اتعرف من هي ؟

- أعرف انها زوجة "جوزيه" واخت المراة التي قتلت في سيارتي . واعتقد انك كنت لديها شيئا مهما قبل زواجها من "سافيلا" .

- شيئا مهما ؟ ماذا تعني ؟

وشعرت من حديثه المتهدج وانفاسه المبهورة انه يناضل انفعالاته الدفينة فقلت متغابيا :

- لاادري بالضبط .. لاادري سوى انك كنت تهمها كثيرا .

- إنك رائع في الاستنتاج والاستدلال يا "لوبين" فما رايك الشخصي؟

فقلت وانا اخافت من صوتي :

- اظنك كنت تحبها يا "كازينو" وانها كانت تحبك . بل لعل كلامنكما لايزال مغرما بالآخر ورايت قبضتيه تشتدان وظل صامتا إلى ان تراخت عضلاته المتوترة ثم سالني :

- وماذا يحملك على هذا الظن يا "لوبين" ؟

فاجبته وانا مازلت اتخير الالفاظ وانتقي العبارات :

- رغبتها في الا تذهب إلى السجن .

فنهض عن مقعده واستدار إلى النافذة بحيث لا استطيع رؤية

وجهه وما يعتمل في اساريره . وظل واقفا هناك وهو يوليني ظهره ويحملق إلى الشارع تحته . وطال وقوفه حتى حسبته قد نسيني ولكنه خاطبني اخيراً دون ان يستدير وينظر إلي :

- أانت الذي اختارته ليحذرني وينذرني يا "لوبين" ؟

قلت صادقا :

- لاادري سوى انها طلبت إلي ان أعاونها في تصريف البضائع المختزنة في بنسيون لارش .

فزمجر قائلا :

- إن هذا المخزن احد مايعده "جوزيه" للايام العصيبة ؟

قلت :

- إنها في خطر داهم من "مانويل" ولعلك خمنت مبلغ الكراهية التي تحملها لها تلك السمراء عاشقة "لاري فينكس" .

فاستدار نحوي يتفرسني ثم اخذ يطيل تفرسه كانما يستشف ما يدور براسي واخيراً قال :

- إن المنزل المسمى بنسيون لارش قد جرد تماما يا "لوبين" من بضائعه .

- إذن ...

- ولكنه لم يدعني اتم حديثي بل اشار إلي ان التزم الصمت ثم استطرد يقول :

- كلا .. إن أعواني قاموا بالعمل جيداً ولن يتكلم "لاري" لان المفتاح الذي ضرب به الحارس الليلي ماخوذ من سيارته التي اوقفها في طريق جانبي من شارع افينو .

وقد استعرنا هذا المفتاح ومازالت عليه بصمات اصابع "لاري" ولطخ من دم "رولنجز" . قد يتوصل البوليس إلى معرفة دم "لاري" ولكن المفتاح اقوى دليل على اتهامه .. أفهمت ولما أومات براسي استرسل يقول :

- ولن يتكلم الحارس الليلي لانه اخذ نقود "سافيلا" ويخشى ان يفتضح امره وسيظل "لاري" و"ليلان" صامتين مادام المفتاح في حوزتي..

- ولكن في وسعه ان يقول إن المفتاح اخذه شخص آخر من سيارته.

- هذا في وسعه ولكن ماذا عن بصمات يده ؟ كما أننا أطلقنا رصاصة من مسدسه قبل أن نغادر المخزن الذي أطلقت منه . وسيؤيد الاتهام الثقب الذي بيده وبصماته على المسدس ونقص رصاصة منه هي نفس الرصاصة النافذة في بعض خشب المخزن.. كلا يا "لوبين" إن "لاري" في مازق لا يقاس به المزرق الذي أراد أعوان "سافيلا" أن يضعوا فيه الحارس الليلي "رولنجز".

وتلاقت أنظارنا فقلت :

- أهذا لايمستي ولايمس "جلوريا" ؟

- بالتاكيد .. ومتى تتصل بها

- وماذا يحملك على الاعتقاد بانني سوف أتصل بها ؟

فبدا عليه الغضب وقال عابسا :

- لماذا تظنني تركتك تاخذها في تلك الليلة وتقلها في سيارتك؟ فأدركت ما يعنيه ولكن قبل أن يتسنى لي الرد . دق جرس التليفون على مكتبه فالتقط السماعة ثم مالبث بعد بضع لحظات أن قال :

- حسنا .. دعه يصعد .

وأعاد السماعة ثم التفت إليّ يقول :

- إن صديقا لك قادم لزيارتي يا "لوبين" .

قلت على الفور :

- كلا .. ليست "جلوريا" .

فالقى إلى وجهي نظرة عجيبة ثم قال :

- كلا .. ليست "جلوريا" ولكن المفتش "دافيدسون" .

الفصل الرابع

وحملق المفتش إلي عندما دخل الحجرة ثم أومأ برأسه وقال :

- مساء الخير يا "نيد" .

وتطلع إليّ يقول :

- لم اكن أتوقع أن أراك بهذه السرعة بعد أمس يا "لوبين" .

فاجابه "نيد" :

- تفضل فاجلس هنا . ألك في سيجارة ؟ هذه فرصة سعيدة فقد انقضى وقت طويل منذ أن تكرمت بزيارتي لآخر مرة .

وتناول المفتش السيجارة فاشعلها ثم قال له :

- أعتقد أنك تعرف سبب زيارتي اليوم .. ولعلك قرأت عن حادث المخزن الذي وقع في الليلة الماضية ؟

- قرأت عنه شيئاً في الصحف .

- وعن الحارس الليلي ؟

- أظنه ضرب أو شيئا من هذا القبيل .

- نعم . وما زال في المستشفى حيث خيط له رأسه ويبدو أن الضربة أثرت في ذاكرته .

- أكانت الضربة قاسية إلى هذا الحد ؟

- كانت قاسية . ولكني أعتقد أن ضعف ذاكرته يرجع إلى خوفه... إلى تهديد صدر إليه من الجاني .

- وهل تظنني أعلم شيئا عن هذا الحادث ؟

- إن لم يكن هذا فهل لك أن تخبرني متى رأيت لآخر مرة صديقك "برت مايلاند" ؟

- صديقي ؟ ومتى كان صديقي ؟

- أليس كذلك ؟ لقد أخرجته مرة من السجن ومثل هذا الفضل عليه يجعلك صديقا له بلاشك .. أرأيته في الليلة الماضية ؟

فتظاهر "كازينو" بالاستغراق في الاهتمام والتفكير ثم هز رأسه وقال :

- كلا .. لم أره في الليلة الماضية . وماذا يحملك على هذا الظن؟
- كان من حسن حظه لو أنك رأيته بالأمس .
- كيف ؟
ولكن المفتش تشاغل بتدخين سيجارته فعاد "كازينو" يقول :
- أظنني أعرف من يستطيع أن يخبرك أين كان "برت" في الليلة الماضية .
- من ؟
- سكرتير نادي النجوم الثلاثة .. اتصل به تليفونيا إذا أحببت .
وأشار "كازينو" بيده إلى التليفون ، فاوما المفتش برأسه وقال :
- أظن ذلك يا "نيد" . شكراً . ألديك رقم التليفون ؟
- سأجده في ملفاتنا . دقيقة واحدة .. سأذهب وأجيئك به .
ونهض وهم بأن يخرج من الباب فقال له المفتش :
- لا تتركني يا "نيد" فليس الأمر ضروريا ولايدعو لخروجك إذ نستطيع الوصول إلى الرقم في ذلك الدليل
ولم يبد على "نيد" أنه رجل لم تجز مناورته على أحد بل عاد يبتسم بادي المرح ثم قال هذا صحيح .. ما أغباني حقا ! وأمسك المفتش بحرفيه الكلمات فقال :
- أنت لست غبياً يا "نيد" ولكنني أظنك حسن الحظ جداً ولاعيب في الحظ سوى أنه لا يهادن دائماً ولايلازم صاحبه إلى الأبد .. ألم يدر هذا بخاطرك قط ؟
فأجابه "كازينو" ضاحكا وهو يقلب صفحات الدليل بأصابعه :
- كثيراً .. كثيراً جداً .
ولما عثر على الرقم ناول المفتش الدليل فادار قرص التليفون وما لبث أن أعلن من هو ثم سأل عن "برت مايلاند" . وبعد فترة قضاها في الإصغاء غمغم بضع كلمات أعاد بعدها السماعة إلى مكانها .. وكان "كازينو" يرقبه من ركن عينه فسأله :
- هل من فائدة ؟
فأجابه المفتش :
- شيء مضحك للغاية فقد أكد لي سكرتير النادي أن "مايلاند" كان

في النادي إلى ساعة مبكرة من هذا الصباح !
- وماذا يضحكك في هذا ؟
وفجأة شعرت بجو المكتب يتوتر ويتضطرب .. وتوقعت أن تهب العاصفة في أي لحظة وإن لم يبد على وجه الرجل ماينبئ بقرب هبوبها . وقال المفتش وهو يعقد ذراعيه على صدره :
- هذا شيء مضحك لعدة أسباب يا "نيد" .. منها مثلا أن رجلين آخرين ذهبا إلى المستشفى في الليلة الماضية . رجلين معروف عنهما اتصالهما بـ"مانويل سافيلا" .. ويقول أحدهما إنهما صدمتهما عربة نقل (لوري) في ساعة متأخرة من الليل كما أفضى إلينا برقم هذا اللوري
- لابد أنه حاد البصر ..
- نعم في الواقع .. وكان الرقم لإحدى العربتين المسروقتين من موقف شارع جرينورث من ثلاث ليال فهل تعتقد يا "نيد" أن هذا من قبيل المصادفة المحضة ؟
- صراحة كلا .. ولكن هذه قصتك أنت .
- ولكني أعتقدها محض مصادفة وساخبرك بالسبب .. ذلك أن الرجل الذي لم يتكلم عندما أدخل المستشفى وجدت بين أصابع يده اليسرى قطعة أمامية من قميص ومعنى هذا أنه تشاجر مع إنسان آخر وجذبه من قميصه قبل أن يصرعه خصمه
- ألم تقل إن "لوريين صدماهما ؟
فابتسم المفتش وقال :
- هو ذلك فلا تشوش القصة بطريقة ما ..
- لست أكره قدر ما تتوهمني فاعله ..
- قلت لك إن قطعة أمامية من قميص وجدت في يده ولم نخبر أحداً ممن لهم صلة بـ"سافيلا" ..
- أظنني فهمت ما تعنيه ..
- أنا واثق بذلك كل الثقة يا "نيد" ولكن هنا تبدأ القصة في التعقد لأن "برت نيد" في المستشفى كذلك ..

وكانت لهجة المفتش هينة لينة معسولة وكان ينطق الكلمات في تؤدة وبطء وعيناه لا تغادران وجه "كازينو" كأنما يقرأ ما يعتمل في رأسه ويستشف ما يجيش في قرارته .

وهز "كازينو" رأسه ثم قال :

- الواقع أن هذا عجيب .

- هذا ما ظننته .

ولم أدر ماذا يعني المفتش بذلك . ولكني كنت أدرك مغزى المحاورة والمداورة بين الرجلين . وقال "كازينو" في رنة رائية :

- صدره ؟

فهز المفتش رأسه وقال :

- كلا يا "نيد" .. ليس في صدره . وما كنت أعلم أن صدره ضعيف . بل الأمر أبلغ خطراً من ذلك . وأغلب الظن أنه وضع في عصارة جديدة جامدة ولا أظنه يقوى على استعمال قدميه قبل انقضاء شهور . بل لعله لن يستعيد قدرته على السير على قدميه مرة أخرى .

وأخذ كلاهما للصمت . ورأيت أولى قطرات العرق تتجمع على جبين "كازينو" وقد تحجرت عيناه" وأنا واثق أن المفتش رأى تلك القطرات المتصببة كذلك ولكنه لم يظهر عليه الانتباه إليها .. وغمغم "كازينو" قائلا :

- مسكين هذا الرجل .

فقال المفتش :

- إن حالته أسوأ من ذلك . فربما مات "مايلاند" . وإذا حدث ذلك فلست مسؤولا فضاقت عينا "كازينو" وضغط شفتيه في غيظ .

ثم قال :

- أجئت خصيصا لتقول لي هذا ؟

غير أن المفتش حافظ على هدوء صوته وبطء حديثه . فقال :

- أوه .. كلا يا "نيد" .. فقط كنت مارا من هنا ورأيت أنه قد يهمك أن تعلم هذه الحقيقة المهمة . وهي أن موت "مايلاند" سيكون معناه أن ثمة جريمة .

- لماذا ؟

- لأنه عندما عثر على "مايلاند" كانت قطعة من صدر قميصه ناقصة . ومن عجب أن هذه القطعة وجدت في يد الرجل الآخر ! والأعجب من ذلك يا "نيد" أن سكرتير النادي مصر على أن "مايلاند" ظل هناك حتى الساعة الثالثة يتحدث ويثرثر ويضع خطة المباراة الجديدة مع فرقة من الأندية الأخرى !

ولم يقل "نيد" شيئا عند ما توقف المفتش عن الحديث كأنما ينتظر بقية القصة واستطرد المفتش يقول :

- ولكنه وجد في الثانية والنصف في أرض فضاء على بعد نصف ميل من منزله عثر عليه كونستابل هناك وحمله إلى المستشفى بسرعة عندما رأى حالته تستدعي الإسعاف السريع . هذا كل شيء يا "نيد" .

واستطاع "نيد" بقوة إرادته أن يقصي عنه الذهول الذي تملكه، واغتصب ابتسامة واهنة ثم قدم علبة سجائره قائلا :

- ألك في سيجارة أخرى ؟

فأجابه المفتش وهو ينهض ويرتدي قبعته :

- لا . شكرا يا "نيد" .. يكفي ما أضعت من وقتك الثمين .

وتلفت حواليه ثم قال :

- أثاثك وثير جدا يا "نيد" ويتناسب مع شهرتك ... أما سيارتك الأمريكية فأفخم سيارة في لندن كلها .

فأجابه "نيد" نافد الصبر :

- هكذا وصفتها الصحف .

والتفت المفتش إلي يقول :

- وأنت يا "لوبين" . لقد أغضبت مدير الشركة بأن استعدت سيارتك القديمة في الليلة الماضية لبضع ساعات دون ترخيص منه! وللمناسبة . ألم تقترب بها مصادفة من الايست اند ؟

واغتبط "نيد" عندما أجبت المفتش قائلا :

- إن ما لقيته سابقا من متاعب جعلني آخر من يتصيد الشواغل من جديد .

وابتسم المفتش ثم قال :

- هذا ما كنت أظنه من أيام قلائل . ولكنني لا أكاد الآن أصدقك

وأنت تعلم أن نشاطك يضيع كثيراً من وقتي في التفكير المضني خصوصا بعد أن بحث رجالنا في أرجاء سيارتك القديمة ولم يعثروا فيها على شيء مما أعتقد أنك و"جلوريا" قد اهتديتما إليه فقلت :

- لم أعثر على شيء ، وكانت "جلوريا" تبحث عن ورق يهمها ، ولا أظنها وجدت ضالتها المنشودة .

- حسبك أن وجدت أنت ضالتك المنشودة .. وهي العمل لحساب مستر "كازينو" . فتولى "كازينو" الدفاع عني قائلا في خبث :

- إن عمله عندي لايعدو القيادة التي يجيدها وهو كما تعلم من خيرة السائقين .

فأجاب المفتش في رقة أمكر وأخبث :

- وخير فضائله أنه يعرف لندن جيداً أكثر من أبنائها .

- هذا شأن كل السائقين فهم جميعاً يعرفون لندن ولايجيزون لهم في اسكوتلانديارد أن يمتهنوا القيادة بغير هذه المعرفة .. أليس كذلك؟

وقبل أن ينصرف المفتش بادي الحنق قال لي :

- من حسن حظك يا "لوبين" أن وجدتك إذ أغنيتني عن البحث عنك والتساؤل عن مخبئك .

وما إن خرج وصفق خلفه الباب حتى تقدم "كازينو" نحوي واقترب بوجهه من وجهي ثم قال :

- ما سر اهتمام "جلوريا" بأن تأتيها بسيارتك القديمة ؟

ولم يرقني ما كان يومض في عينيه من تهديد ووعيد ، فظللت صامتا ، وقرض على أسنانه وتقلصت عضلات وجهه ثم أمسك برقبتي وصاح :

- قل .. تكلم .

ورثيت لهياجه فقلت :

- أظنك سمعتني أقول لمفتش البوليس إنها كانت تبحث عن شيء يهمها لم يعثر البوليس عليه في أثناء تفتيشه ..

- وهل وجدته هي ؟

- لاأدري .

- فهزني كأنما يريد أن يقتلعني من مقعدي وهو يرعد :

- لاتكذب علي يا "لوبين" .. لاتكذب بالله علي يارجل !

فقلت صادقا :

- أنا لا أكذب ثق بانني لا أعرف سوى أنها عثرت على ورقة في فجوة لوح النافذة الزجاجي .. ولم أسألها ماذا كان في تلك الورقة لأن الأمر لايعنيني في كثير ولأنها لم تتطوع بإخباري .

وود لو يصدقني - كما رأيت - ولكن الظروف لم تكن مما تجعله يقوى على الاعتقاد بصحة ما أقول .. نعم ظروفه التي يعيش فيها دائما وسط عالم مشحون بالريب والشكوك والمظان فقال :

- لقد كنت معها في طريقكما إلى هايد بارك في السيارة فماذا قالت لك ؟

وكان يعتصر راحة يمناه في يسراه لفرط انفعاله وهياجه ، لأنه كان يعلم أن العنف معي إن أجدى يوما فلن يجدي أياما ، فقلت في غير مواربة :

- كانت شديدة الاكتئاب بحيث أخلدت إلى الصمت .. هذه هي الحقيقة يا "نيد" فوفر عليك الجدل .

- إذن فقد لعبت عليك كعادتها في العبث بكل إنسان !

ووقف واجما ظاهر الألم والتبرم والضيق ثم انفجر قائلا :

- سوف تطعمك الوحل وسوف تتخذك مطية للنيل مني كما فعلت مع "جوزيه سافيلا" الذي تزوجته ، كما أن أختها .. شقيقتها .. ماتت لأن ...

وأمسك أنفاسه المبهورة ، فوثبت على قدمي بدافع غريزي لم أملك مقاومته ثم انشبت يدي في كتفيه ودفعته إلى مكتبه صائحاً :

- دعها لشأنها وكف عن إيذائك نفسك بالاهتمام بأمرها ! وإذا كانت لاتستحق منك هذا الاهتمام فانت طائش أحمق .. أما إذا كانت جديرة به فانت أكبر طائش !

وعدت أغوص في مقعدي واضعا وجهي بين كفي وقد تملكني الأسى، وسمعته يتحرك ثم يقول :

- أريدكم جميعاً هنا لأن العاصفة تهدد رؤوسنا

وخيل إلي من صوته أنه انقلب من ذلك الرجل المعذب منذ دقائق إلى الداهية الذي لايقف شيء في طريقه ولاتنهض عقبة في سبيل إرادته ..

الفصل الخامس

وسرعان ما دخلوا الحجرة واتخذوا مقاعدهم في صمت وترقب كان على رؤوسهم الطير .

وكان "ستيف" يمضغ عود ثقاب في هياج فور أن قدم مع "ونجيت" وسمع بزيارة المفتش .

وحضر "فريد" و"هاري" السائق الذي تومض عيناه نصف المغلقتين بالدهاء ، وكذلك قدم "هانك برودسون" (الأمريكي) بقامته الطويلة وابتسامته الزئبقية . ورأيت الرجل القصيرالذي كان قد أدخلني إلى مكتب "كازينو" ثم علمت فيما بعد أن اسمه "ويناك" وأنه مستشار "كازينو" ومدير شؤونه المالية الخاصة بالمشروعات الخفية والمغامرات .

وتطلع إليهم "كازينو" بهدوء وهو جالس إلى مكتبه . وظلوا يرنون إليه في انتظار أخباره السيئة ولم يشأ أن يطيل قلقهم فاستدار أولا إلى الأمريكي قائلا :

- عندما تلقيت في الليلة الماضية المحادثة التليفونية مع "برت"، ماذا قال لك ؟

فتطلع كل واحد من الحاضرين إلى الآخر ثم إلى الأمريكي في قلق لمجرد أن الأخبار تدور حول "برت مايلاند" . وقال الأمريكي عابساً متجهم الأسارير :

- فقط أخبرني أن المهمة انتهت على مايرام وأنهم فرغوا من سائقي "سافيلا" ببعض العنف وأن اللوريين والبضائع في طريقها، وكذلك أخبرني بأنه سيعود على الفور إلى منزله لأن زوجته تتوقع أن تلد فوافقت له .

ونظروا جميعاً إلى "كازينو" وإلى الخيوط المرتسمة حول عينيه فقال:

- لاأظن أن "برت" بلغ منزله ، وعلى أية حال ، علم "سافيلا" بما حدث فأرسل أعوانه إلى "برت" يدهمونه في فلاة من الأرض . ولحسن الحظ نقل إلى المستشفى قبل أن ينق كالضفدع .

وتوقف لحظة عن الحديث وقد انتهبته العيون في صبر نافد ثم عاد يقول :

- وقد تمزق صدر قميصه في أثناء الشجار مع سائقي اللوريين، وعثر رجال البوليس على هذه القطعة الممزقة من قميصه في يد أحد السائقين فإذا مات "برت" كانت هناك جريمة ضرب أفضى إلى موت وطال التحقيق وتعددت الأسئلة .. وأنتم أدرى بمعنى هذه الاستجوابات والتحقيقات . أما إذا لم يمت "برت" فسوف يكون لنا كل الحق أيضا في إعطاء "مانويل سافيلا" درساً لاينساه .

وبدا عليهم جميعا الحنق والغيظ والهياج .. وأيقنت أن كلامنهم يتحرق على الثار والقتل بيديه إذا مات "برت مايلاند" . واستطعت أن أقرأ هذه العزيمة متجلية في وجوههم وهم يراقبون "كازينو" الذي عاد يقول :

- نعم . سوف نلقنه درسا .

ثم راح يرقبهم بدوره وهم يرغون ويزبدون ويتبادلون الوعد .. بل الوعيد .. بان يثاروا لـ"برت" شر ثار .. حتى إذا وجد "كازينو" أن مرجل الغضب قد خفت حدته قليلا في نفوسهم دق جرسا فوق مكتبه ، فعادوا جميعاإلى مقاعدهم وهدوئهم وصمتهم المطبق من جديد . وارتفع صوت زعيمهم يقول :

- يجب أن نحافظ على رؤوسنا بمضاعفة الحذر والدهاء فأنتم تعلمون جميعا أن المفتش "داڤيدسون" كان هنا وأنه لن يهدأ له بال حتى يلصق بنا الأدلة المادية الدامغة التي لاتحتمل أي شك لاتهامنا . وقد رأيت في أثناء حديثه معي أنه واثق كل الثقة بأنه بدأ يمسك بطرف الخيط ولذلك يجب أن نحترس وأن نعتني بكل صغيرة وكبيرة وأنت يا "ستيف" تعرف من يعملون مع "برت" .

فأجابه "ستيف" وكان من قبل يتطلع إلى أظفار أصابعه :

- نعم أعرفهم ومعظمهم يقيمون حول "بريكستون" . وجميعهم يدينون لـ"سافيلا" بالمقت والكراهية ولكن .. ماذا عن مسز "مايلاند" زوجة "برت" ؟

- لن أنساها ولكن قل لي .. هل تستطيع الاتصال بأحدهم ؟

- هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

- إلى كم ؟

- إلى يوم أو يومين .

- حسنا . وليكن ذلك باسرع ما تستطيع لتخبرهم بما حدث لـ"برت" وبانني ساتولى بنفسي في هذه المرة علاج "مانويل" !

ونهض "برودسون" على قدميه يقول :

- أوضح لنا يا "كازينو" ما تعتزم عمله .

فنهض "كازينو" بدوره وتطلع إلى الوجوه الرانية إليه ثم قال :

- إن "سافيلا" يعرف مبلغ مايلحق بمؤسسته من أضرار وهو ينفق الكثير ليجني القليل لأن فوائده تضيع في استجلاب ولاء عصابة "فتزبوري" وعصابة "الجيت" وهو يعمل الآن على تقسيم لندن إلى مناطق يسيطر عليها أعوانه وبذلك يتمكن من تكرار غاراته ومضاعفة أسلابه فوائده .. ولكن ما دمنا نستطيع أن نحرمه كل ما يسرقه فسوف نحبط كل مشروعاته . وهو يعلم جيدا ما اعتزمناه وخصوصا بعد الحادث الأخير ولذلك فالغضب يعصف بوجدانه بل يخرجه عن عقله وها هو ذا قد قدم لنا (عينة) مما يجب أن نتوقعه منه بأن هاجم "برت" فور أن تلقى الأخبار عن غارتنا .. وكان هجوما قاسيا قد يكلف "برت" حياته .

وإذ ذاك تحدث "ويناك" (المدير الإداري والمالي) قائلا :

- الواقع أننا يجب علينا أن نحتاط وأن نتخذ كل الحذر فإننا نمد رجالا لفظتهم السوق السوداء .. نمدهم بالأثمان العادية في السوق المشروعة مما يجعل مكاسبنا محدودة .

فقاطعه "كازينو" وهو يشير إليّ :

- أظن "أرسين لوبين" لايصدق ما تسمعه اذناه لأنه يعتقد أننا أوغاد ولصوص وأننا نبتز أموال الناس لنعيش عيشة اللوردات .. أليس كذلك يا "لوبين" .

فتطلعوا جميعهم ناحيتي فقلت :

- وهلا تتفق الغارة التي شننتموها في الليلة الماضية مع ما قد أعتقده ؟

- وتولى "برودسون" الرد علي فقام يتكئ على حافة المكتب ويقول:

- اصغ إلى يا "لوبين" ! لقد رسمنا خطتنا للسطو على لوريات "سافيلا" بعد أن غادرت مخزن (إيست إند) مليئة بالبضائع المسروقة .. وقد اغدقوا العطاء للحارس الليلي "بيتر رولنجز" ليدعهم يسرقون ما في المخزن بعد أن يكمموه ويوثقوه إلى مقعده . أرأيت ؟

ولما أومات برأسي استطرد يقول :

- لن أخبرك أين ذهب اللوريان وسوف تقرأ ذلك على الأرجح في الصحف غداً أن أحدهما وجد في مكان في الجنوب الغربي وأن الآخر في ميلاندز اي على بعد ثلاثمائة وعشرين كيلو متراً من الآخر .. وستقول الصحف إن اللوريين وجدا خاويين ، ولعلك تحب أن تعرف أين ذهبت البضائع التي كانت فيهما .. أليس كذلك يا "لوبين" ؟ هناك تجار صغار كثيرون ممن خدعوا ببطاقات مزيفة ويجب أن يتلقوا بعض المساعدة ، وهناك آخرون سرقت بضائعهم ولاتستطيع شركات التامين ان تجيئهم بما يعادل المسروقات ، وهناك آخرون كذلك أفلسوا....

فقاطعه "كازينو" قائلا :

- هذا يكفي يا "برودسون" فقد أخذ فكرة عامة وبقيت بعض التفاصيل التي أحب أن أضيفها لمسيو "لوبين" وهي أن أولئك التجار سوف ينالون المعاونة بطرق مشروعة .. عن طريق تجار معترف بهم ولهم أسماء في السجل التجاري ولذلك لن يحتاجوا إلى التزوير في دفاترهم وحساباتهم .. وقد استغرقت إقامة مثل هذه المؤسسة وقتاً طويلا ويكفينا فخراً أننا استطعنا بهذا النظام أن نمكن الجمهور من الحصول على البضائع المسروقة وأن نعيدها إليه بالأثمان الرسمية .

قلت وقد تاثرت بقوة حديثه :

- هذا كله حسن جداً ولكن ماذا عن "برت مايلاند" وزمرته أليسوا مجرمين أو لصوصا ؟ هذا فقط ما أحب أن أعرفه ..

وأحسست بالأنظار القذرة تلهبني من كل ناحية وبادر "كازينو" يقول:

- لارذيلة يمكن إلصاقها بهم سوى أنهم يخالفون القانون ولكننا

جميعاً نضطر أحياناً إلى خرق القوانين .. وانت اول من اجترح هذه المخالفة وهذا الخرق في اكثر من مرة وضميرك مرتاح كل الراحة .. أليس كذلك يا "أرسين لوبين" ؟!

وحاولت أن اتكلم فلوح لي بيده أن اسمعه ثم استطرد يقول :

- هذا يتوقف على القانون الذي يخرق لأن القوانين ليست كلها سليمة رغم ماحاوله واضعوها من توخي العدالة . ولولا ما يسلم به رجال القانون أنفسهم من نقص بعض القوانين لما اوجدوا للمتقاضي فرصة الاستئناف والنقض . ولولا ذلك ماعقدت اللجان من حين إلى آخر لتعديل القوانين لتساير الزمن وتخلو من وجوه الحيف او النقص..

ولوح لي مرة أخرى لأخلد إلى الصمت حتى يتم حديثه ثم استرسل يقول :

- ولعلك تعرف المثل القائل «كم في الحبس من مظلومين» بسبب ما يتفشى في كل العالم من شهادة الزور كما تعرف أن كثيرين ممن يخرقون القوانين ويعبثون بالأمن في مأمن تام لعدم كفاية الأدلة على اتهامهم او للعجز عن الحصول على الشهود اللازمين .. ولعل العدالة البريطانية اشد العدالات تمسكا بضرورة الشهود لإمكان الحكم على الأشرار بالعقاب الذي يستحقونه . وهذه (موضة) أن ان تعدل او تلغى.

قلت :

- أتعني أنك لا ترى حاجة إلى الشهود ؟

- أنا لم أقل ذلك إطلاقا ولكن هناك بعض قضايا يمكن الاستغناء فيها عن شهادة الشهود ...

وبعد جلسة دامت حوالي نصف الساعة انفض الجمع بعد أن وافقوا جميعاً على ضرورة اتصال "ستيف" برجال "مايلاند" في بريكستون و على أن يُلقى درس رادع على "مانويل سافيلا" . ونهضت معهم . وقد تاثرت بعض التاثر الذي يرجوه "كازينو" . ولما مضيت نحو الباب استدعاني قائلا :

- الديك مانع يا "لوبين" من أن تقلني إلى ستوكويل ... أي فيما بعد

بريكستون ؟

فاومات برأسي وقلت :

- كما تشاء ..

- إن منزل "برت مايلاند" هناك واريد ان اتحدث قليلا إلى زوجته، ولكني لاأحب ان يعلم بذلك الآخرون فلا تقل لهم شيئاً .

- أتتوقع اعتراضا منهم ؟

- ربما يرون ذلك بعيداً عن أسباب الحذر والتوقي ؟

- أولا تعتقد ذلك مثلهم ؟

- اوه يا "لوبين" ؟ إنك كثير الأسئلة ..

- ولم لا يكون سؤالي بدافع من ضرورة الحذر اللازم لسلامتي؟ .. ماذا لو فوجئنا هناك ببعض المتاعب ولم نجد من يخف لنجدتنا ؟

- إذن ساخبر "هانك برودسون" .

واعجبني منه أن يقتنع بسهولة رغم شدة اعتداده بنفسه ومواهبه.. ولكن ما إن علم "هانك" بهذه الزيارة حتى اصر على مرافقتنا فمضينا نحن الثلاثة إلى حظيرة في شارع خلف منتزه سانت جيمس . وهناك اعطيت لي سيارة خيل إليّ لأول وهلة انها عاشت أضعاف عمرها . ولكن ما إن جلست خلف عجلة قيادتها حتى ادركت انني لم أسعد في حياتي بسيارة مثلها ومضيت بها خفيفة إلى كنتجتون ثم عبرت جسر وستمنستر بينما كان "هانك برودسون" و "كازينو" يتحدثان خلفي ولايهتمان بخفض اصواتهما فسمعتهما يذكران أسماء رجال وأمكنة ويشيران إلى أمكنة الاجتماع وصفقات تجارية في صراحة وعلانية وفي غير تحفظ .. وظللت انصت طوال الرحلة حتى إذا اقتربنا من برج الساعة في ستوكويل انحنى "نيد" إلى الأمام والقى تعليماته إلي . فمضيت إلى الامام ثم إلى طريق جانبي من مئات الطرق التي دمرتها غارات الألمان . واصبحت شركاتها ومصانعها دوراً مهدمة.. واخيرا أوقفت السيارة في المنعطف التالي وقال "كازينو" وهو يتامل ساعته :

- انتظر انت هنا يا "هانك" . وإذا لم نعد بعد ساعة فتعال وابحث عنا ..

www.liilas.com/vb3
KARAKHEENA

ولم يعترض الأمريكي ولكنه قال :

- إن ساعة مدة طويلة جدا !

فرد عليه "كازينو" قائلا :

- أعرف ذلك ولكن محاضرتي طويلة كذلك وربما كان لدى "لوبين" مايقوله أيضا .

- حسنا ، كما تشاء .

وتأمل ساعته ثم قال :

- سالحق بكما إذا انقضت ثانية واحدة على الساعة المحددة.

وعدت مع "كازينو" إلى شارع كلافام فعبرناه إلى الشارع المقابل ، ثم اتجهنا إلى اليمين في طريق زاخر بالاولاد الذين لايجدون متنزها للعابهم ! وفي نهاية ذلك الطريق اتجهنا إلى اليسار بمحاذاة الطريق العام . ودفع "كازينو" بوابة حديدية قديمة للمنزل الرابع ثم طرق بابا أخضر اللون .. وسرعان ما تناهى إلى اسماعنا وقع اقدام في الردهة الداخلية الضيقة ، ثم فتح الباب وظهرت خلفه امراة منحنية الظهر قصيرة القامة بيضاء الشعر .. وألقت نظرة عابرة إلي ثم راحت تتفرس في "كازينو" ووجهه الجميل ، ثم سألت :

- ماذا تريدان ؟

فاجابها في رفق :

- أحب أن اتكلم مع مسز "مايلاند" في امر عاجل .

فرفعت المراة يداً معروقة إلى وجنتيها لتدفع خصلة من شعرها الأبيض جانبا ..

وسقطت الخصلة إلى مكانها الأول بعد لحظة ،ولكن المراة لم تفطن إلى ذلك وقالت في لهجة متحدية وهي تحملق إلى "كازينو" :

- إن ابنتي نائمة ولايمكن إزعاجها .

- وعاد "كازينو" يقول :

- ولكني ارجوك ..

- فصاحت فيه بصوت حاد :

- من أنت ؟ وما اسمك ؟

- اسمي "كازينو" ، وانا ...

فصاحت تقاطعه :

- "نيد كازينو" ! كلا ... إن "دوللي" لاتريد أن تراك لانك مسؤول عما حدث لزوجها "برت" . إن البوليس لم يقل ذلك عندما قدم إلى هنا ولكننا علمنا الحقيقة ..

ولو انه سمع نصيحة "دوللي" التي طالما حذرته من الاتصال بك لما وقع له ماحدث .

ثم راحت تسعل سعالا بغيضاً ينبئ بفساد رئتيها ، حتى إذا كفت عن السعال عادت تقول :

- إنهم يسمونك "أمير البلطجية" ولك أعوان مردة ..

ولكنها عادت إلى سعالها الجاف العنيف من جديد ، ورنوت إلى "كازينو" فوجدته شديد الإصرار على إنجاز مهمته، ثم مالبث أن قال لها كانما يدلل طفلا عنيداً :

- على أية حال يجب أن أرى زوجة "برت" لأن الأمر غاية في الاهمية ولا يصح أن تقفي في سبيلي هكذا .

ومرة أخرى صاحت وقد تضاعف حنقها :

- يجب أن تذهب من هنا فإنك غير مرغوب فيك في هذا المنزل . لامكان لك هنا يا "نيد كازينو" ولا موضع عندنا لأمثالك واشباهك ! إنني اشكرك لو اوليتني ظهرك وانصرفت لحالك وإلا فسوف أستدعي البوليس واجعلك ...

وقاطعها في هذه المرة صوت خافت مكدود خلفها يقول :

- من هذا يا أماه ؟ يجب الا تقفي هكذا في الباب وانت تسعلين !

وحاولت العجوز أن تغلق دوننا الباب وهي تصيح في وحشية:

- اذهب لعنة الله عليك !

ولكن قدم "نيد" امتدت تمنع الباب من ان ينصفق في وجهينا، ثم نادى قائلا :

- يا مسز "مايلاند" ! أنا "نيد كازينو" .. جئت لاتحدث إليك في أمر مهم عاجل ..

ارجو أن تصدقيني ..

وران صمت مسرحي ونحن واقفان بلا حراك أو كلام إلى أن قطع

حبل الصمت نحيب المرأة في الردهة الضيقة ونشيج بكائها الواهن المتقطع .

كان وجه "دوللي مايلاند" يحمل طابعا عجيبا من المتناقضات يتسم به عادة معظم نساء العمال ، فبينما كان مستديراً يكتنز باللحم الممتد إلى عنقها ، كانت شاحبة الأسارير واسعة العينين فاحمة الشعر خابية النظرات ترتسم على جبينها خطوط الحياة الجاهدة وتمتد حول ركني فمها خيوط متجهمة تعكس شظف العيش الذي تعانيه .

وبعد أن توسلت إلى أمها أن تتركنا جلست بادية التعب على مقعد كبير بحجرة الاستقبال حيث اعتلت إحدى المناضد زهرية ذابلة الورود لا تتجدد مياهها في كل يوم وعلى الرغم من نظافة الحجرة كانت تصل إلى أنفي رائحة مياه آسنة ، وأخذت المرأة تتفرسني قادرت عيني إلى الموقد وإلى غليون فرنسي فوقه ، وأدركت أنه كان يجب ألا أحضر مع "كازينو" إلى هذه الشقة التي تحمل طابع الأسى ولكنني كنت أرحب بمرافقة ذلك الرجل أينما ذهب لعلني أجد حلا لهذه الطلاسم التي تحيط به والتي لا أعرف معها طبيعة العمل الذي يمارسه في الخفاء ، ويتناقض ما أسمعه عنه مع ما يقوله "كازينو" ويؤكده من أنه حرب على السوق السوداء والعابثين بها وانه يوفر للمستهلكين كثيراً من حاجاتهم بالسعر المقبول الذي لايبهظهم ويمنيهم بالحرمان !

وبدأ "كازينو" يتحدث إليها ولكنني لم أكن واثقا بأنها كانت تصغي إليه في اهتمام ، وكان حديثه حول زوجها "برت" وكيف أنه كان وساطة لمساعدة رجال آخرين يرون فيه قائدا وزعيما ، وكان صوته مسرحيا يعلو وينخفض كأنغام القيثارة ، وكانت نبراته ترتجف بضع لحظات أشبه بأوراق الشجر فتسترعي انتباه المرأة وتجعلها تنظر إلى عينيّ محدثها الضارعتين وهو يقول :

- ثقي يا مسز "مايلاند" أنني ما كنت أحب أن يحدث لزوجك ما وقع له ، وسوف تعنى به كل العناية .. أما أنت فسوف ...

وإذ ذاك انفتح الباب على مصراعيه ودخل طفل في الخامسة أو السادسة قذر الوجه مشرق الأسارير ثم وقف يحملق برهة إلينا

وأخيرا قال :

- إن "جراني" لايريد أن يعطيني الكرة يا أماه .

فأجابته بصوتها المكدود في رفق :

- ليس الآن يا "جيمي" .. ليس الآن .. اذهب واعمل كما يقول لك "جراني" الطيب .

اذهب يا "جيمي" !

وغادرنا الطفل في خطوات بطيئة وهو يجر قدميه جراً .. وبعد أن صفق خلفه باب الحجرة سمعناه يتوثب ويتصايح ، وتنهدت المرأة الشابة ثم قالت :

- هكذا ترى يامستر "كازينو" .. إن لدينا "جيمي" هذا وننتظر مولوداً آخر في القريب ويقول الدكتور ...

ثم هزت رأسها وعضت شفتيها لتمنع نفسها من الاسترسال في عرض كروبها ونكباتها فقال "كازينو" بادي اليأس والقنوط :

- لاتغتمي فإن الهموم لن تجدي "برت" ولن تعاونه .. سأذهب بنفسي إلى المستشفى لأوفر له كل أسباب الراحة وسأخبره بأن ليس ثمة مايدعو إلى قلقه من أجلك فصدقيني . فرنت إليه بدورها كاسفة البال حتى خيل إليّ فجاة أن عمرها زاد عشر سنوات وتاملت عنقها الناصع البياض الناعم كالحرير وهي تقول :

- أنا أصدقك وأعرف جيدا أنك لن تدخر جهداً لديك . وسبق أن حدثني "برت" بكل شيء ولكني خائفة .. خائفة كما تراني ولا حيلة لي ولاقوة ! هاهو "جيمي" الصغير وهانذا وهاهو "برت" في المستشفى ومع ذلك أخشى أن تمد يد المساعدة إلينا بسبب البرقية التي تلقيتها .

فتصلبت عضلات "كازينو" وغمغم مشدوها :

- برقية ؟ ممن ؟

فاشارت بيدها إلى حافة الموقد حيث برزت حافة برقية ، فنهض "كازينو" يلتقطها وهو يقول مترددا :

- اتسمحين لي بالاطلاع عليها يا مسز "برت" ؟

فلما أومات برأسها إيجابا ، وقد اشتد امتقاع أساريرها ، فض البرقية في انفعال وراح يتلوها ، ثم جلس مطبق الشفتين عابس

الوجه ، ومد لي يده بالبرقية فوضعتها على ركبتي وقرأت فيها مايلي:

«لاتتحدثي إلى "كازينو" إذا زارك ولاتساعديه باية طريقة او تجيبي عن أسئلته بل لا تطلعي أحدا على هذه البرقية كائنا من كان ، وإلا فإن ما حدث لن يكون إلا بداية المتاعب»

ولم تكن البرقية تحمل أي توقيع أو إمضاء أواسم يدل على مرسلها، ولكن كان جلياً أنها أرسلت من مكتب بشارع والهام جرين في الحادية عشرة والنصف صباحا .

وطويت البرقية ثم أعطيتها لـ"كازينو" الذي قام في هدوء وسكون فارجعها إلى مكانها فوق حافة الموقد ، وعاد ليغوص في مقعده من جديد ويقول :

- إذا لم تساعديني فسيكون في ذلك القضاء على "برت" وانت تعلمين هذا جيداً يا مسز "مايلاند" .. بل سيكون القضاء عليه وعلى الآخرين .. أما إذا ساعدتني ففي وسعي أن أمنع كل متاعب من هذا النوع .

وكمشت المرأة الشابة في مقعدها كانما تود أن تختفي وأن تتوارى عن العيون ...

وبعد لحظة قالت وصوتها اشبه بصدى نفسها :

- وكيف أستطيع مساعدتك يا مستر "كازينو" ؟

فاجابها في هدوء :

- تستطيعين أن تحدثيني عن "ماري فاريل" : لماذا قدمت إلى لندن؟ وماذا جاءت به ؟ إن "برت" كان يعلم واظنه أخبرك بما يعلمه .. ولا ادري لماذا لم يخبرني انا ؟ وإنني لاتساءل : هل كان خائفا مني ام من احد غيري ؟ أو هل كان يخشى أن يكون له شان في محاكمة "جوزيه سافيلا"؟ وهذا "لوبين" ... "أرسين لوبين" الذي كان يقود السيارة التي قتلت فيها "ماري فاريل" خارج فندق بللا مونتانا وهو الذي تعرف على قاتلها "جوزيه سافيلا" وشهد بذلك في أثناء المحاكمة بلا مواربة او خوف أو تردد..

وحملقت إلى "كازينو" لا أدري لماذا يقحمني في حديثه مع المرأة ولا أرضى أن يجعلني وسيلة لحملها على الإفضاء بما تكنه في نفسها

وتخاف أن تبوح به .. ولكن ها هو ذا يتخذني أداة لحملها على قول ما يتحرق على معرفته .. ومن أجل ذلك لم يصطحب معه في هذه الزيارة "هانك بروسدون" وإنما آثرني برفقته ! وتبينت من ذلك أن "نيد كازينو" داهية لايقدم على عمل من غير ترو وبدون رسم الخطط اللازمة

وعندما تكلمت وجهت حديثها إلي وفي نبرات صوتها ماينبئ بالخوف الذي يساورها ، فقالت :

- أعرفت شيئاً عن الأوراق ؟

فاجبتها على الفور :

- نعم ، وعرفت في أيدي من وقعت .

وتطلع "كازينو" إلى دون أن ينطق بحرف ... وغمغمت المرأة تقول كانما توضح مايريده "كازينو" :

- كان "برت" خادما أو مراسلا للكابتن "فاريل" في أثناء الحرب.

ولكن لم يبد على "كازينو" أنه كان يجهل ذلك ، وكنت أعلم بدوري أن زوجة "فاريل" قدمت إلى لندن باوراق إلى "جوزيه سافيلا" الذي قتلها ثم لم يجد هذه الأوراق في حقيبتها التي خطفها . ويبدو أن زوجة "جوزيه" التي كانت تحب "كازينو"، وربما لاتزال تحبه ، (والتي هي أخت ماري فاريل) قد حذرتها من الثقة بـ"سافيلا" والاطمئنان إليه .. ورحت أتساءل لماذا ؟ وماذا تحوي الأوراق من أشياء تهم "جوزيه سافيلا" كل هذه الأهمية التي دعته إلى ارتكاب جريمته للحصول عليها؟ ثم لماذا يهتم بها أيضا "نيد كازينو" ؟

واختلطت الافتراضات برأسي ولم أظفر بنتيجة رغم ما جاهدت في التفكير والدراسة ولكن ومضت فكرة برأسي فقلت :

- أين "فاريل" ؟

فسقط فك المرأة وحملقت إلي كانما قد استحلت إنسانا آخر امام عينيها وقال "كازينو" :

- كنت أظنك تعرف يا "لوبين" .. كنت أظنك علمت بانه قتل منذ بعض الوقت في حادث ... خاص !

ولم أتكلم لأنني كنت أفكر إذ ذاك في رقم تليفون "جلوريا" ورجائها أن اتصل بها في مدى يومين ، وفي انني يجب الا انسى ذلك ولم يبق

سوى يوم آخر. ولذلك اكتفيت بأن هززت رأسي ... وتنهدت "دوللي مايلاند" عن كبد حرى ، ثم تحركت في مقعدها ... وعندئذ انحنى "كازينو" يرفعها بيده القوية ويسند ظهرها إلى ظهر المقعد فشكرته بنظرة منها وقالت :

- ظل الكابتن "فاريل" على اتصال بـ"برت" إلى أن وقع الحادث... وقد كتب الكابتن قبل ذلك يقول إنه قد يحتاج إلى "برت" ليعاونه في أمر ربما يكون على جانب كبير من الخطر ، ثم كتب يقول «ولكنني أعلم أنك لن تخيب رجائي» وفعلا لم يخيب "برت" رجاءه لأنه ليس من الصنف الذي يرضى بذلك .

وأغمضت عينيها لتخفي مايترقرق فيهما من دموع فقال "كازينو" :

- أنا أعرف "برت" جيداً وأعرف فضائله يا مسز "مايلاند" ورقات الزوجة الشابة دموعها التي انحدرت على وجنتيها ثم عادت تقول :

- وقبيل الحادث الذي .. قتل فيه الكابتن تلقى منه "برت" خطاباً ثانياً ذكر فيه شيئا عجيبا إذ قال «لو حدث لي شيء ، فعليك أن تساعد زوجتي بمثل ما كنت تساعدني» فارسل له "برت" يؤكد له ذلك .. ولعل هذا ما جعل "برت" يلتزم الصمت في أثناء المحاكمة في حين كان يجب أن يقول شيئا آنذاك ...

وتطلعت إلينا ثم تسمرت عيناها على "كازينو" فأومأ برأسه كأنما يخبرها أنه يدرك ما تعنيه ثم قال :

- إن "برت" كان على حق فيما أظن يا مسز "مايلاند" .. على حق تماماً.. وإذا لم أكن مخطئاً فهو قد تلقى إنذاراً بالا يتقدم ويثير المتاعب .. إنه لم يخبرك بذلك ولم يخبرني أيضا وهذا ما يدهشني كثيراً .

وهنا سألته بدافع من حبي للاستطلاع :

- وهل أخبرك بشيء عن خطابات الكابتن "فاريل" ؟

فأجابني :

- لا يا "لوبين" ..

وسألته "دوللي مايلاند" بدورها :

- أكان ثمة ما يمنعه من ذلك ؟

فأجابها : لا أظن .

وعادت تسأله :

- إذن كيف جاءتك هذه الأخبار عن "برت" وعن كل شيء ؟ ولماذا جئت تنشد مني أخباراً ؟

وسرعان ما انقلبت المرأة في لحظة واحدة من مخلوقة خائفة كامشة إلى امرأة متحدية ملتهبة العينين ونصبت قامتها كالعود فوق مقعدها وسقطت الوسادة من خلف ظهرها .. ذلك لأن "برت" كان يعني كل شيء عندها بل كان تسعة أعشار حياتها أو أكثر .. ولقد أدركت ذلك جيداً من التماع عينيها وأمارات التحدي التي غشيتها فجأة .

وتطلعت حولي في أرجاء حجرة الاستقبال مرة أخرى فرأيت كل شيء مطبوعا بسني الجهاد لمناهضة الفقر ورثيت في نفسي لما أصاب الرجل الذي أوتي مثل هذه العزيمة ومثل هذه الزوجة المحبة الوفية المدبرة . وعاد "كازينو" يثبت أنه ليس بالرجل الذي يؤخذ بالمفاجأة فأجابها :

- أنا أعرف يا مسز "مايلاند" لأن مسز "فاريل" كتبت لي تخبرني بما كان يعمله زوجها وذكرت لي ضمنا اسم "برت" .

وانحنى عليها مرة أخرى يضع الوسادة خلف ظهرها المكدود ثم استطرد يقول :

- ولكني بالتأكيد لم أعرف إلا الآن فقط أن الكابتن "فاريل" طلب إلى "برت" أن يساعد زوجته إذا ..

وتطلع إلى ساعته ثم قال :

- أخشى يا مسز "مايلاند" أن أكون قد طمعت في كرمك فأطلت بقائي هنا أكثر من اللازم .

وأردت أن أقرص نفسي لتصدق ماتراه عيني وتسمعه أذني لأن هذا الرجل الرقيق الناعم الصوت المنحني على المرأة المتعبة ممسكا بيدها لايمكن أن يكون "نيد كازينو" زعيم البلطجية ، الذي لا تعرف الرحمة بأعدائه وخصومه سبيلا إلى قلبه ! وما لبث أن نهض على قدميه وقال :

- هيا يا "لوبين" !

وغادرنا المنزل تتبعنا غمغمة السخط من العجوز الشائبة وحملقة الحفيد ! وكان "كازينو" غائصا في يم من أفكاره ونحن نقطع الطريق ثم قال لي :

- تعال نشرب قليلا يا "لوبين" ونتحدث على انفراد .

واتجه إلى أحد المشربين العامين اللذين مررنا بهما في طريقنا إلى منزل "مايلاند" . وهناك طلب كأسين من الشراب بعد أن اختار منضدة خالية منعزلة ثم مضى يرتشف كأسه في بطء وهو يرقبني من فوق حافة الكأس ثم وضعها أمامه وقال :

- أتظنني أستخدمك لأغراضي يا "لوبين" ؟

فأجبته :

- هذا واضح لا يحتاج إلى سؤال ولذلك سئمت أو بدأ السأم يداخلني على الأقل .

- وما رأيك الذي كونته عني بصراحة ؟

- الواقع أنني لست واثقاً بعد فلا أدري هل أنت قديس من نوع جديد مثل "روبين هود" ؟ أم مجرد رجل يتسلم البضائع الرخيصة المسروقة ؟ وبذلك تكون أشبه بخوخة ناضجة في نظر البوليس ، فهم ينتظرونك إلى أن يحين موعد جمع الخوخ وجني ثماره ..!

ولعلني كنت فظاً في وصفي له خصوصا بعد أن سقاني الشراب ولكنني - على مايبدو - كنت متحرقا على أن أطلق لساني على هواه بعد الصمت الطويل الذي التزمته أو لعلني رفعت الكلفة بيني وبينه إلى الحد الذي أسفر عن احتقاري له ومع ذلك أجابني غير غاضب :

- رائع جدا .. استمر .

- ولقد تساءلت لماذا اقتفيت أثري وبحثت عني حتى الحقتني - قوة واقتداراً بزمرتك ، ولكنني أعتقد الآن أنني اهتديت إلى السبب، وهو شدة قلقك واهتمامك بأل "فاريل" وبتلك الورقة التي أحضرتها "ماري فاريل" إلى لندن لـ"جوزيه سافيلا" .. ولا أعلم سر اهتمامك بذلك وإن كانت "جلوريا" تعتقد اعتقادا جازما بأن "سافيلا" لو حصل على تلك الورقة لكنت أنت الآن في غياهب السجن .. وهذا ينبئ بشيء ويولد عندي فكرة ما فأومأ برأسه وسألني :

- هل لك في كأس أخرى ؟

وأومأت برأسي كذلك ثم رحت أرقبه وهو يذهب بنفسه إلى (البنك) فيملأ الكأسين مرة أخرى ثم يعود بهما وهو لايزال غائصا في أفكاره. وقدم لي سيجارة ثم قال وهو يرمقني :

- أنت ماهر جدا يا "لوبين" في الهبوط بالإنسان من عل إلى سابع أرض ولكني أعتقد أن هناك شيئا فاتك أن تلحظه .. فاتك أن ترى أل "سافيلا" يوشكون أن يشهروا حرباً .. سوف أقابلها بالمثل .

قلت : أو لم تعمل شيئا للآن ؟

- ماذا تعني بالضبط ؟!

- إن "برت مايلاند" ومن كانوا معه في الليلة الماضية قد استعملوا العنف مع سائقي "سافيلا"

- إنك لم تفهم ما يجري جيدا يا "لوبين" أصغ إلي .. إن سائقي اللوريين لم يقض عليهما ولكن كانت الضرورة تدعو إلى معاملتهما هكذا .. وهذه المعاملة عادية في عالم العصابات الخفية. أما ترك "برت" يموت فشيء آخر . وإذا لم نعمل شيئا فسيكون "برت" مقدمة لآخرين وسوف يعقب الضرب إطلاق الرصاص من غارات متوالية من القتل والإجرام .

- على طريقة آل "كابوني" ؟!!

- ربما .. ربما .. وخصوصا أن التعدي على "برت" يعتبر شهرا للحرب في سبيل بقاء "سافيلا" سيد الميدان .

- أظن "برت" إنما لقي مالقيه بسبب الأوراق الضائعة التي تهمك والتي فقدها "جوزيه" رغم الجريمة التي ارتكبها .. أما ما عدا ذلك فهو مجرد تبرير منك لاستغلالك الرجل من أجل مصلحتك الخاصة .

فنهض مربد الوجه حانقا وقال :

- إن فيك كثيراً من الفضائل التي تعجبني وتحببني فيك ولكنك تكون أحيانا من السخف بحيث تضيق بك أوسع الصدور ! هيا بنا لنلحق بـ"هانك" .

* * *

وخرجنا نعبر الشارع لنجد أربعة في انتظارنا أحدهم رجل من

جمايكا دميم الخلقة سرعان ما أخرج يده من جيبه وفيها موسى يلتمع نصلها . بينما رأيت اثنين يمسكان زجاجات محطمة، أما الرابع فقد شهر في يده مدية طويلة .

وأخذ الجمايكي يصفر بين أسنانه الناصعة وسط وجهه الأسود.. وأعجبني المنديل الحريري المتعدد الألوان حول عنقه حتى لقد شغلني لحظة عن التطلع إلى الموسى التي يمسكها .. وقال له الرجل صاحب المدية في غمغمة غنائية :

- لنسرع باقتناصهما .. اهجم يا "آبي" عليهما !!

فانقطع الزنجي عن الصفير وتقدم إلينا في خفة القط . وغمغمت باسم "كازينو" ، دون أن أقوى على مزيد من التحذير ، لأنني وجدت أننا في مازق لامهرب منه !! ولمحت في نهاية الطريق امراة تحمل حقيبتين وتسير في بطء فادركت انه يسهل قتلنا قبل أن نقترب منا فلا تجد امامها إلا جثتين غارقتين في الدماء .. وسوف تولول وتصرخ بالتاكيد ولكن بعد أن يكون القتلة قد اختفوا عن الانظار .. وعندما يجتمع الناس حولنا سيهزون رؤوسهم ثم يتحدث الشرطي تليفونياً إلى اسكوتلانديارد بان "نيد كازينو" وسائق (تاكسي) يدعى "ارسين لوبين" وجدا مقتولين بعدة طعنات.

واقترب الرجال الأربعة منا وقبل أن تمتد يدي إلى مسدسي ، كان "كازينو" ينقض كالصاعقة على الزنجي فيلكمه لكمة واحدة جعلت الموسى تطير من يده وجعلته ينبطح على ظهره يشهق بالالم.. وفي اللحظة التالية ركله في صدره ثم وقف على وجهه بإحدى قدميه وراح يحطم الموسى الساقطة على الأرض بقدمه الأخرى . ورايته ينقض على حامل المدية فيفعل معه ما فعل بزميله وإذ ذاك لم أجد مبرراً لبقائي متفرجا والخطر يهددني كذلك بمثل ما يهدد "كازينو" ، فاندفعت إلى الآخرين ولحسن حظي أطلقا سيقانهما للريح قبل أن يجهز "كازينو" على حامل المدية ويخف لمعونتي . وامسك "كازينو" بذراعي قائلا :

- اسرع .. يجب أن نبتعد من هنا في الحال يا "لوبين" قبل أن يفاجئنا أحد من رجال الشرطة في مثل هذا الموقف الذي لا أحبه وجرينا .. وكانت المراة قد اقتربت منا ورأتنا نجري نحوها

فصرخت ظنا منها أننا نعنيها بالذات ، ولكننا استطعنا أن نبلغ شارع كلافام ثم نجد السيارة "وهانك برودسون" في انتظارنا . وشاهد الأمريكي وجوهنا المربدة وسمع أنفاسنا اللاهثة فقال :

- أحدثت متاعب ؟

ولكن "كازينو" صاح :

- سق أنت يا "لوبين" عبر لندن بحيث لا تلحق بنا سيارة البوليس التي استدعيت بلاشك لمطاردتنا !

وجلست في الحال خلف عجلة القيادة وكنت أعرف المهمة المطلوبة مني فرحت اقطع الطريق في شوارع متعارضة متقابلة تضلل أذكى رجال البوليس .. حتى إذا بلغت شارع كنسنجتون ، شكرني "كازينو" ثم غادرنا السيارة وتسللنا إلى مشرب شاي ... ثم غادرناه بعد قليل واشترى "هانك" أخر الصحف بعد انقضاء ساعة واحدة على الحادث فإذا بها أخبار معركة بين العصابات نشبت في شارع كلافام وشد ما كانت دهشتي حين قرأت أن اثنين وجدا مثخنين بالكدمات والرضوض وقد أعماهما - مؤقتا - غاز النوشادر !! ثم مالبث "كازينو" أن قال :

- هذا يذكرني بضرورة التخلص من النوشادر . وأخرج من جيبه مايشبه مسدس الأطفال ينتهي بكرتين من المطاط الأخضر فالقاه بصندوق للقضلات في الطريق بعد أن مسحه بمنديله . وعندما عادإلى السيارة قلت له :

- أرجو ألا يعثر عليه رجال البوليس

ولكنه أجابني ساخرا :

- دع هذا الإسراف في الخيال الذي يلازم قراء القصص البوليسية هيا إلى شارع هاي وهناك أخذنا (تاكسي) وطلب "كازينو" من السائق أن يقلنا إلى سوق شبرد . وجلسنا ندخن في صمت دون أن نتبادل الحديث .. وبين الفينة والأخرى كان الأمريكي يقرأ بعض سطور الصحيفة التي يقلبها حتى إذا بلغنا منتصف الطريق قال :

- أنت تعلم معنى ذلك يا "نيد" .. الحرب .. الحرب بلاهوادة . ولذلك يجب العمل بالسرعة التي تشل حركات "سافيلا" .

وفي هايد بارك نقر "كازينو" على الحاجز الزجاجي ثم طلب إلى السائق أن يقف واستدار إليّ يقول :

- هنا تتركنا يا "لوبين" ولاتخرج الليلة بل ابق مع "هاري" وساراك في الصباح مشرقا مبكرا .

وهبطت من السيارة بينما كان الأمريكي مازال مستغرقا في صحيفته . ولما اختفت السيارة عن عيني في شارع بيكاديللي عبرت الطريق نحو فكتوريا . وشعرت بانني في حاجة إلى بعض الشراب فدخلت محطة فكتوريا ، ثم جلست في مقصفها أشعل سيجارة وأحتسي كاسا من الشراب ؛ وما إن جذبت نفسين من سيجارتي حتى سمعت صوتا مالوفا يخاطبني قائلا :

- من كان يتصور أن أعثر على الرجل الذي أود أن أتحدث إليه ؟!

واستدرت لأجد إلى المنضدة التالية - على امتداد ذراعي - المفتش "دافيد سون" فقلت :

- هالو . ماذا تفعل هنا ؟

وهو سؤال سخيف إذ يوجه إلى رجل يقضي وقته في مطاردة اللصوص والقتلة ؟

ولكن الكلمات انطلقت من تلقاء نفسها لحاجتي إلى النطق بأي شيء وإخفاء اضطرابي لتلك المقابلة المفاجئة . وكان يدخن غليونه في هدوء ورمقته في شك ولكنه لم يبال بل رشف رشفة من فنجان قهوته ثم قال :

- أنا نازل لتوي من القطار يا "لوبين" ، وكنت أفكر فيك كما قلت لك لأتحدث إليك قليلا :

فدفنت أنفي في كاسي وأنا أغمغم قائلا :

- أي خدمة أستطيع أن أؤديها يا مستر "دافيدسون"؟

فابتسم وقال :

- شكراً يا "لوبين" .. اسمح لي أن أطري حلتك الجميلة :

ومد يده بتحسس صوفها ثم قال :

- كنت أقوم ببعض تحريات عن موت الكابتن "فاريل" .

قلت وأنا اقبض جيداً على كاسي حتى لاتسقط من يدي :

- الكابتن "فاريل"

- نعم .. زوج المرأة التي قتلت في سيارتك .. ويبدو انه قتل منذ زمن قريب في حادث قارب ، والشيء الوحيد الذي يدعو للتحري مايلابس ميتته ويثير شكا في أن يكون الحادث مبيتاً . الم تسمع بذلك ؟

- كلا .. وماذا يحملك على الظن بانني أعرف شيئاً عن الحادث ؟

- ولماذا ترتعب هكذا ؟

- أنا لا ارتعب ولكني فقط متعب وفي حاجة إلى النوم .

- ربما بحثت عنك مرة أخرى .

وشعرت بانه يعني انتهاء الحديث عند ذلك الحد فقلت :

- ولكن لماذا ؟

- قد أحتاج إلى معونتك .. في البحث عن بعض الأوراق .

ثم تفرس في قليلا ونهض واقفا وهو يقول :

- هذه الأوراق ضاعت في الوقت بين حادث الكابتن "فاريل" وحادث زوجته إلى اللقاء يا "لوبين" وارجو أن تحافظ جيداً على صحتك :

وخرج من المقصف فانتهيت من كاسي ثم أطفأت سيجارتي متقززاً وكلي شعور بحاجتي إلى الانفراد بنفسي ، في مكان ما ، لأخلو إلى تفكيري ، فقد تملكني إحساس غريزي بأن لدي كثيراً مما يستدعي التفكير الطويل ... وعدت إلى الحجرة والتي يشاركني فيها "هاري بيكس" فوجدته راقداً في فراشه يقرأ رواية بوليسية . وتطلع إلى من خلف روايته قائلا :

- لي حديث مهم معك .. إن "نيد" تحدث تليفونيا منذ عشرين دقيقة وهبطت إلى الطابق السفلي وتلقيت منه رغبته في أن يراك في الحال وأن تذهب إليه في السيارة الصغيرة التي أدخلناها الحظيرة ليلة أمس .

فقلت حانقاً :

- أيظنني سائقاً طوال الليل والنهار ؟!

www.liilas.com/vb3 RAYAHEENA

- لاتحنق يا "لوبين" فإن الأمر خاص بـ"بيرت" الذي يلفظ انفاسه الأخيرة وستذهبان إلى المستشفى معا .

والقى مفتاح الحظيرة إلي ثم مفتاح السيارة وهو يقول :

- أسرع بالله عليك يا "لوبين"

الفصل السادس

كان "كازينو" يذرع الرصيف عندما كنت اتبع سيارة كبيرة في طريقي إلى سوق شبرد . فلما شاهدني اسرع إلي يقول :

- بالله اين كنت ؟

وكان بادي الغضب والهياج ويود لو يمزقني إرباً فتطلعت إليه غير عابئ بثورته حتى إذا جلس إلى جانبي قلت له :

- كنت اجيئك بانباء طازجة من المفتش "دافيدسون" فهو الآن يبحث ويتحرى حادث الكابتن "فاريل" ووعد بان يطلبني عند الحاجة . وكان شديد القلق واللهفة على الاهتداء إلى بعض الأوراق الضائعة .

فغمغم ساخطاً . وحاولت أن اكون لحوحاً فسألته :

- إلى أين تذهب ؟

وكان غائصاً في لجة من التفكير فاجابني في اقتضاب :

- إلى مستشفى لامبيث.

ورأيت أن اتركه في غمرة تأملاته . ورحت أتطلع إلى نهر التاميز .. وأخيراً راح يطرح علي بعض أسئلته :

- ماذا قلت للمفتش "دافيدسون" ؟ ماذا كان يعمل في المحطة؟ وماذا حملك إلى هناك ؟ وماذا قلت عن الأوراق ؟ .. إلى غير ذلك ..

فاجبته دون توسع . وعاد يخلد إلى الصمت إلى أن بلغنا المستشفى .. ولما دخلناها وثب رجل للقاء "كازينو" الذي قال لي عندما رآه :

- هذا "تيد جيمر" .. كان مع "برت" في الليلة الماضية .

ثم قال للرجل :

- كيف حاله الآن ؟ أما زال قادراً على الكلام ؟

فأومأ "جيمر" براسه ثم قال :

- إن حالته سيئة جداً يا "تيد"، ولكنه يرهق الممرضات لأنه يود رؤيتك والتحدث إليك .. إنه لم يذكر اسمك بالتاكيد وإنما ظل يسأل عني فلما ذهبت إليه الح على طلب التكلم معك ليخبرك بشيء مهم قبل

أن يجروا له العملية الجراحية خشية أن يموت دون أن يفضي إليك بدخيلته .

واختنق الرجل بالبكاء ثم غمغم حانقا :

- لقد قضى عليه الأوغاد !!

- وساله "كازينو" :

- أتعرف فيم يريدني يا "نيد" ؟

- نعم .. تقريبا . فقد أخبرني انه يعرف اثنين ممن صرعاه وحاولا قتله .. اثنان من عصابة "فنزبوري" ..

كان أحدهما الزنجي الجمايكي المعروف باسم "أبي" والمسمى "ابسي كارفر" ، وأظنك تذكر أنه كان في المحكمة عدة مرات . ثم كان هناك "فات لوي" .

- أقرأت آخر الصحف يا "نيد" ؟

- لا لأنني زاهد في الصحف منذ ليلة أمس .. ولكن لماذا ؟

- إن "أبسي كارفر" و"فات لوي" قد تحطما بعد ظهر اليوم .. كان يجب أن يبتعدا عن بريكستون

ثم استدار إليَّ قائلا : تعال يا "لوبين" .

وتركنا "جيمر" يحك صلعته ويحملق إلينا حائرا . وأرشدتنا ممرضة إلى العنبر الذي يرقد فيه "برت" .

وكان المسكين غارقا في ضماداته وتفوح منه رائحة المطهرات ، وبعد أن أحاطتنا الممرضة بالأستار قالت :

- أرجو ألا تزعجاه أو تثيراه .

فلما ابتعد وقع قدميها قال "كازينو" يسأل المريض :

- كيف حالك يا "برت" ؟

فتحركت الضمادات التي تغطي "برت مايلاند" وارتفع من بينها صوت واهن :

- شكراً .. إنني أسمعك يا "نيد" .

- أصغ إلي يا "برت" . لاتشغل بالك بالوغدين "أبي كارفر" و"فات لوي" فإنهما ياسفان الآن تماما على نفسيهما .. أصغ إلي .

ثم انحنى عليه وحدثه بمغامرة بعد الظهر وبزيارته لزوجته وما

تلاها من العراك الدموي .. وسمعت من "برت" غمغمة الرضا بين آونة إلى أخرى ثم سمعته يقول :

- احترس يا "نيد" فإن "سافيلا" كما قالوا ينتوي لك الشر ، وبدونك لا نستطيع مناهضته ومحاربة سوقه السوداء .. احترس لنفسك يا "نيد" ما استطعت ..

فربت عليه "كازينو" في حنو وهو بادي الجزع عليه ثم قال :

- لاتخف يا "برت" فنحن في وسعنا أن نهتم بكل شيء وبزوجتك .

وعادت غمغمة الرضا والشكر تتصعد من بين الضمادات وأخيراً قال "كازينو" في هدوء :

- أتسمعني جيداً يا "برت" ؟

- نعم يا "نيد" . تكلم .. إنني عاجز عن شكرك من أجل عنايتك بـ"دوللي" فإنني لا أحب أن تعاني أو يقع لها مكروه .

وزاد انحناء "كازينو" عليه حتى كاد وجهه أن يمس الضمادات ثم ساله :

- أتذكر يا "برت" الخطاب الذي تلقيته من الكابتن "فاريل" يطلب فيه إليك أن تعنى بزوجته إذا حدث له شيء ؟

- أوه .. نعم .. لماذا يا "نيد" ؟

- ألم يقل لك ما هي المساعدة التي يرجوها منك لنفسه أو لزوجته؟

- انت تعرف انني كنت الخادم المراسلة للكابتن "فاريل" ، وانه كان في قلم المخابرات السرية ، وبذلك تسنى لي أن أعرف اشياء كثيرة مثل البحث عن كليشيهات ضائعة اعتقد أنه اهتدى إلى معرفة الكثير عنها ، وأنها كانت لتزييف الأوراق المالية الإنجليزية والأمريكية ..

وإذ ذاك أزيحت الستارة جانبا وأطل رأس الممرضة بعينيها الحادتين ثم قالت :

- آن أن تذهبا الآن لأن الطبيب يمنع أي إجهاد للمريض ، ولولا أن العملية في الصباح لما أذن لكما في التحدث إليه .

وكانت لهجتها صارمة جافة تحمل معنى الإصرار على التخلص منا على الفور . فتطلعت إلى "كازينو" فوجدته غارقا في أفكاره متجهم الأسارير كأنما أزعجه ما سمعه من المريض .

ومالبثنا أن انصرفنا مستأذنين من "برت". ولما غادرنا العنبر واتجهنا إلى الدرج الرخامي وجدت على بسطته الأولى شبحا يرتدي معطفاً ثقيلا وقبعة كبيرة وقد اعتمد على حافة (الدرابزين). فامسكت بكم "كازينو" انبهه فافاق من تاملاته وتطلع عابسا إلى المفتش "دافيدسون" الذي ابتدره قائلا :

- لاتكشر عن أنيابك هكذا يا "نيد" ! ماذا يدهشك في أن أجد لذة خاصة في مشاهدة عائدي "برت" وزائريه

فندت عن صدر "كازينو" تنهيده عميقة ثم قال :

- كان يجب أن أتوقع أن أراك أو أحد رجالك هنا

فابتسم المفتش وقال متظاهرا بالدهشة :

- يبدو أنك كنت متلهفا على رؤيته مع أنه كان يلح على مشاهدة "نيد جيمر" وليس "نيد كازينو" ! ولكن ربما كان حصيفا في إلحاحه لأنه يعرف أن "نيد جيمر" هو الذي يستطيع دعوتك

ولم تغادر كازينو" مقدرته على مواجهة العواصف في هدوء وبرود فقال :

- أظنك على أية حال تعلم أنني و"برت مايلاند" صديقان !

- هذا ما خمنته لأنني كنت أجهله وما أظنك أنت كنت تفكر كثيراً من قبل في هذه الصداقة ! والذي أرجوه أن يكون قد أفضى إليك كصديق باسم من فعل به ذلك ولم يفت "كازينو" ما يزخر به حديث المفتش من سخرية لاذعة ودهاء والتواء ...

ولكنه قال :

- إن ذاكرته لاتعي شيئا على الإطلاق . وقد توسلت إليه أن يخبرني.. وحاول أن يتذكر وراح يعتصر رأسه بكل قوة فإذا بالممرضة تاتي وتطلب إلينا غاضبة أن نتركه في الحال

فهز مفتش البوليس رأسه وقال :

- إذن فلا فائدة ؟!

- كان بودي لو أستطيع أن أقدم لك أية مساعدة ممكنة

- وهل هذه أمنية مسيو "ارسين لوبين" يا ترى ؟

ورايته يحدقني بعينيه الثاقبتين في مكر وسخرية فقلت :

- بلا شك يا مستر "دافيدسون" فانت تعرف انني قدمت مساعدات كثيرة لحفظة الأمن ورعاة العدالة وانني منذ قليل جداً قدمت لكم "جوزيه سافيلا" طواعية بمحض إرادتي

- لقد قابلته وطلب إليك أن تقابل زوج "ماري فاريل" .

- من هو ؟

- "جيمر" وهنا علمتما أن الكابتن "فاريل" كان (مراسلته) في الحرب ثم تحرك بعيداً عنا وهو يقول :

- خير لك يا "نيد" أن تنصح "جيمر" حتى لا يصيبه في صبيحة الغد ، ما أصاب "مايلاند" ، كما أرجو أن تعلم أن لدى رجال البوليس من المهام ما هو أهم من مطاردة صبية يتعاركون في الشوارع ويتقاذفون بالنوشادر ثم يختفون !

ومضى صاعداً إلى المستشفى حتى إذا هبطنا إلى الطابق الأرضي غمغم "كازينو" قائلا :

- إنهم يرصدون حركاتنا تماما ويعلمون كل ما يحدث أولا فأولا .

وفي المدخل بنهاية الردهة انضم إلينا "جيمر" وركبنا ثلاثتنا إلى ستركويل . وهناك عندما توقفت العربة وهبط "جيمر" ، قال له "كازينو" :

- سيتصل بكم "ستيف هنري" ليحمل إليكم أوامري ، طابت ليلتك .

ومشى "جيمر" منحني الظهر داساً يديه في جيبيه . وعندما بلغنا كنتجستون بدأت الأمطار تنهمر ولكنني مضيت أسابق الريح في انفعال باد فسألني :

- لماذا ترتجف ؟ هل أخافك مفتش البوليس ؟

أجبته مزمجراً :

- لست أرتجف ... ولكنني ثائر حانق بسببك .

- لماذا ؟

- إنني أتساءل عن السر في أن عثور "سافيلا" على الأوراق الضائعة كان معناه زجك في السجن !

- أظنك أكدت لي من قبل أن "ماري فاريل" جاءت إلى لندن بتلك الأوراق لتقابل "جوزيه" فهلا فكرت في أن تكون هذه الأنباء زائفة؟ -

- ماذا تعني ؟

- أعني ألم يخطر ببالك أنها ربما جاءت لتقابل شخصا آخر يكرهه "جوزيه" مثلا ؟

- كلا ... لماذا ؟

ولكنه بدل أن يجيبني لمس ذراعي برفق وسألني :

- هل أكلت منذ الغداء يا "لوبين" ؟

وتذكرت معدتي الخالية ، فقلت : لا .

- إذن تأكل لأن عصافير بطني تتصايح محتجة على طول نسيانها.

وتناولنا الطعام في مطعم صغير بالقرب من شارع فوكسهول. وكان طعاما يتناسب بالتأكيد مع حجم المطعم ولكنه ملأ بطني وحسب . ثم جلسنا نحتسي القهوة وندخن وإذا بـ"كازينو" يخرج يديه من جيبيه ويقول :

- أعرني جنيهاً يا "لوبين" فقد جئت بلا نقود ولم أصدقه ، ولكني أخرجت حافظة نقودي وأخرجت جنيهين . وبدلا من أن يأخذهما خطف الحافظة وهو يقول :

- لاتغضب فإن فكرة خطرت لي !

قلت :

- خذ ما تشاء فلا تهمني النقود .

فتطلع إلي لا يدري هل يصدقني أم يبحث عن السخرية الكامنة في حديثي ؟! ولم يأخذ الجنيهين بل التقط الورقة التي تحمل رقم تليفون "جلوريا" ثم أعاد لي حافظة نقودي واحتفظ بالورقة وهو يقول في رفق :

- فقط أردت ألا أتيح لك فرصة الرفض يا صديقي ... انتظرني هنا .

وغادرني ومضى خارجا من المطعم ، فطلبت قدحا آخر من القهوة وأشعلت سيجارة جديدة وأنا حائر كل الحيرة ! وبعد ربع ساعة عاد متجهم الأسارير وجلس ليحملق إلي كأنما يود أن يقرأ في عيني الجواب عما يكر به ويحيره ، ثم قال وهو يخرج قصاصة الورق :

- اسمع يا "لوبين" ! لقد طلبت هذا الرقم الذي بهذه الورقة فأجابتني امرأة غريبة الصوت ليست "جلوريا" .

قلت :

- لعلها تقيم مع امرأة أخرى ؟

- هذا ما ظننته فطلبت إليها أن تدعو "جلوريا ترنت" ...

فقاطعته قائلا على الفور :

- ترنت ؟ إن هذا ليس اسمها .

- كان اسمها "جلوريا ترنت" وقد تزوجت "جوزيه سافيلا" ، أما أختها "ماري ترنت" فقد تزوجت "فيليب فاريل" . والعجيب أن المرأة التي حدثتني قالت : «أنا "جلوريا". ماذا تريد ؟» وأيقنت أنها - كائنا من كانت - تكذب علي ، ولكنني أردت أن أستوثق أكثر من ذلك فقلت لها : «إن "بارني ويلز" يريد أن أحمل لك شيئاً مهما فأجبتني : «يسرني ذلك متى تجيء؟» فقلت لها : " في مدى ساعة أو أكثر قليلا" وتوقف "كازينو" لحظة أشعل فيها سيجارة لنفسه ، ثم ظل يحملق إلى لهب عود الثقاب إلى أن طفئ ، فرماه في طبق الفنجان وعاد يقول :

- وإذ ذاك اتصلت بالدليل وزعمت أن لي صديقا بهذا الرقم ولكنني لم أستطع أن أتلقى جوابا عن مكالمتي التليفونية ، ولذلك أرجو أن أعرف عنوانه لأرسل له خطابا بالبريد . ولم يأطالبني الدليل باسم هذا الصديق بل بادر يبلغني العنوان فكتبته على الورقة تحت رقم التليفون .

وتناولت منه القصاصة فوجدت أن "جلوريا" كانت قد كتبت عليها بخطها الأنيق «سبدويل "٩٠٢٥١" فإذا تحت ذلك وبخط "كازينو" ٢٥ شارع ريباك» ودسست الورقة في جيبي فقال "نيد" :

- خذها فإنني حفظت الرقم التليفوني والعنوان ، وما رأيك الآن في أنها لم تكن "جلوريا" ولم تتصنع صوتها ؟

- وأنت ؟ ألا يجوز أنك تصنعت صوتك ؟

- هو ذلك فقد تكلمت من فوق منديلي ولكن المهم أن "بارني ويلز" كان يوما ما صديقي وصديق "جلوريا ترنت" ثم مات ، وتعلم "جلوريا" أنه ميت فكيف جازت عليها حيلتي إذا كانت هي المتكلمة ؟

- ألم تخمن من تكون إذن المرأة التي حادثتك ؟

- لاأعلم ولا أجد في رأسي غير "ليلان" .. زوجة "مانويل سافيلا"

وتذكرت منظر عاشق هذه المرأة عندما أهوى على الحارس "رولنجز" بالمفتاح ذي الصامولة . ثم قلت :

- وماذا يحملك على هذا الظن ؟

- كراهيتها البالغة لـ"جلوريا" .. أنت تعلم ذلك لأنها كانت تحب "جوزيه" ولكن "جلوريا" انتزعته منها فكانت أن تزوجت ليل من "مانويل" أخيه ثم أقامت الدنيا حولها .

وصمت لحظة ثم قال :

- أظنك مازلت تعجب كيف أمكنني أن أدهم بنسيون لارش في الليلة الماضية ؟

ولما أومأت برأسي استطرد يقول :

- كان "هانك" يراقب ليل عندما خرجت مع "لاري فينكس" ، وهذا الجلف صديق حميم لزوجها ولكنه مغرم بها إلى حد الوله ؟ وهي في الواقع لاتبادله الحب ولكنها في الغالب تتظاهر بذلك لتستغله وتجعله يتبعها كظلها أو بالأحرى ككلبها ، وفي الليلة الماضية جعل "هاري" عربة "لاري" هذا ترتطم بأحد الجدران وتعجز عن مواصلة السير فاضطرت "ليل" إلى الانتقال إلى تاكسي بعد أن تركت بصمات أصابعها على دفتر حسابات صغير لشركة السيارات كنا قد نسينا أن نعيده إلى مكانه عندما رحلنا بمسدس "لاري فينكس" والمفتاح الصامولة وقد نزل "لاري فينكس" في مكان بالقرب من ساونجيت ليمضي إلى منزله وهو يعرج بالألم .

ثم أطفأ سيجارته واسترسل يقول :

- لهذا لم أفكر في غير "ليل" لأنها قد تدخلت في أمر آثار مخاوفها فأرادت أن تصلح مارتقت وأن تقوم ما أفسدت ، فمضت تحاول مع "لاري" أن يلصقا تهمة بـ"جلوريا" ،

ولعلهما انتظرا طويلا إلى أن تمت لهما مقاجاتها معك في بنسيون لارش ولعل "لاري" قضى الأيام القليلة الماضية يتبعك أو يتبع "جلوريا" ، ولعله راكما تلتقيان فأبلغ "ليل" أن فرصتها للانتقام قد أتيحت .

ثم صمت لحظة ليشعل سيجارة أخرى كعادته في الإسراف في

التدخين طيلة قلقه وانفعاله وأخيراً قال :

- وهذا يتطلب سؤالا وهو أين "جلوريا" الآن ؟ أنا لا أعلم فقد تكون "ليل" قد أقحمت "مانويل" في الأمر لتفيد من تدخله ، هذا ما يجب أن أعرفه وأظن الفرصة قد حانت لأن تساعدني يا "لوبين" بما عرف عنك من ذكاء ودهاء وبدل أن تظل متفرجا هكذا بخلاف طبيعتك .

ولأول مرة شعرت بأنني يجب أن أعمل عملا إيجابياً فقلت :

- ألم تخبرها من أنت ؟

- كلا ولم أذكر لها اسماً قط . اتعني أنك ستذهب إلى هذا العنوان وتفاجئها هناك ؟

- نعم وهل تعتقد أنني سأجد "لاري فينكس" معها هناك ؟

- لا أستبعد ذلك لأنه يلازمها كظلها .. وفور أن تمضي من هنا سأتصل تليفونياً بـ"فريد" ليلحق بك . خذ السيارة الصغيرة وحاول أن تعرف أين ذهبت "جلوريا" .

- يالها من مهمة سهلة جداً !!

- أنا واثق أنها سهلة بالنسبة لك ولعلها تنتظرك الآن لتعرف أي أمكنة أخرى خزن فيها "جوزيه" أسلابه . إن "ليلان" شرهة وعاشقها "لاري" طموح .

ولم أفكر آنذاك في غير "جلوريا" وسلامتها فنهضت على قدمي وأنا أقول :

- من يدريني أنك تحدثت إلى هذا العنوان فعلا ؟

فقال باسما رائيا :

- ما أسهل أن تسأل الدليل وتعاود محاولتي لتطمئن إلي .. ثم لاتنس أنها تقيم في الشقة رقم ١٧ ..

- وعند الباب أمسك بذراعي وقال :

- لاتطرق الباب قبل خمسين دقيقة لتمنحني فرصة العمل . مع السلامة يا "لوبين" .

ورأيته يعبر الطريق وينادي سيارة ... وأسرعت أستقل السيارة (الصالون) الصغيرة إلى شارع ريباك ، وأنا أنهب الطريق كأنما يلح بي الشوق إلى فتاتي الفاتنة !

ثم عدت فادركت أن لا داعي لهذه العجلة لأن "كازينو" نصحني الا اطرق باب المنزل قبل انقضاء خمسين دقيقة . فتمهلت في الطريق وانا افكر في موقفي من جميع زواياه واهيب بنفسي ان التزم الحيطة والتوقي لأنني لم اكن قد تبينت حقيقة العمل الذي يمارسه "كازينو" . وإن بدات أعجب بالرجل وبسرعة بديهته وقوة عزيمته .. ومع ذلك اعتزمت أن احترس لأن الكذب كان سهلا لديه سهولة الابتسام إذا رأى ظروفه تبرر الكذب والرياء !! ورحت اتساءل اي فخ منصوب لي في ذلك المنزل خصوصا وإن "جلوريا" طلبت إليّ أن اتصل بها بعد يومين مما قد يكون تفسيره أنها ستتغيب عن منزلها هذين اليومين . وإذن فالمرأة التي سألقاها في منزلها ليست هي كما أخبرني "كازينو" ..

ووومضت بخاطري عبارة "جلوريا" عندما قالت لي إنني سوف أجعل منها أرملة وإنني كلفتها حياة اختها . فرحت اتساءل :

- الا يجوز أنها تعتقد أن لي ضلعاً في التامر على اختها وزوجها؟

ولكني عدت فرجحت أنها لا تعتقد ذلك وأنها صادقة في عاطفتها نحوي، ثم عدت أسال نفسي :

- ولماذا اشترط "كازينو" الا اقترب من المنزل قبل خمسين دقيقة ؟ وإذا كان يزمع إرسال بعض رجاله . فلماذا لم يؤثر الذهاب بنفسه؟ ولماذا لا تكون هذه إحدى أكذوباته . وإنني سأواجه الموقف أخيراً وحدي؟

وبلغت شارع ريباك وعند رقم ٢٥ وجدت بناء عصريا كبيرا تطل واجهته على حديقة واسعة ولكنني اتجهت إلى نهاية المكان المخصص لوقوف السيارات . وهناك استدرت وعدت بالسيارة لاقف في مكان يسهل أن أبادر إليه عندما تستدعي الظروف أن اعجل بالرحيل . ووجدت عند المدخل سيارة أمريكية يبدو عليها الإعياء لفرط ما استعملت فاجتزتها ومضيت أدخل المنزل وارقى الدرج إلى الشقة رقم ١٧ . وكانت سابع شقة في الطابق الأول قرب نهاية ممر طويل . وسرعان ما ضغطت جرس الباب ثم وجدتني أعمل شيئا عجيبا دهشت له . وهو أنني أخرجت شارة القيادة الخضراء وعلقتها في زرار

بمعطفي . ثم جذبت قبعتي فوق عيني . ولعلني فعلت ذلك عندما لم يفتح الباب على التو كما كنت ارتقب ؟

واخيراً .. فتح الباب ولم اجد امامي "جلوريا" ولا "ليل" السمراء وإنما رايت عملاقا عريض الكتفين تمتد ذراعاه إلى جنبيه كذراعي الشمبانزي . وتضيق عيناه تحت أهداب ثقيلة مخيفة . وكدت اتوهمه فاتحة للشرك الذي نصبه لي "كازينو" فمضيت أحملق إليه كما يحملق الفار إلى فيل حتى ضاق بنظراتي ذرعا فزمجر في وجهي :

- ماذا تريد ؟

وخيل إلي أن ذراعيه ستمتدان وتطوقان عنقي فتراجعت خطوة وقلت :

- إن معي صندوقا في السيارة باسم "جلوريا" ويابى صاحبه أن يعطيني أجري إلا إذا حملته إلى هذه الشقة رقم ١٧ . ولكن الصندوق ثقيل علي فارسل من يجيء به .

اسرع فليس لدي وقت اضيعه ولاتهمني سوى (الأجرة) وليذهب الصندوق إلى جهنم !

فامسك بكتفي ودفعني إلى الخلف وخيل لي أن كتفي سينخلع ثم قال :

- أواثق انه ذكر اسم "جلوريا" والشقة رقم ١٧ ؟

- بالتاكيد .. أعطني اجري فحسب فلا أريد ان ابقى هنا طوال الليل .

فعاد يزمجر :

- حسنا .. حسنا . تعال أرني اين الصندوق .

وتركته يسبقني إلى الدرج وقد ترك الباب مفتوحا وتبعته على بعد خطوتين حتى إذا هبط درجتين واصبح تحت كتفي اسرعت أركله بكل قوتي فانكفأ على وجهه وتدحرج على الدرج . وسرعان ما عدت إلى الشقة وأغلقت خلفي بابها بالمزلاج . ومضيت إلى حجرة الاستقبال المضاءة لأجدها صغيرة لا يبدو عليها أنها حجرة في شقة سيدة . إذ كانت جدرانها حاشدة بصور رياضية ومناظر طبيعية بينما كان اثاثها اخضر لامعاً حاشداً بالمرايا والزجاج . وشممت من المطبخ

رائحة تدل على عدم التوفرعلى العناية به ثم وجدت الحمام خاويا فاغلقت بابه وبلفت إلى حجرة صغيرة للنوم توحي بانها لم تستعمل منذ أسابيع ، فعالجت باباً أخر اعتقدت انه يفضي إلى حجرة النوم الرئيسية ، ولكن الباب كان مغلقا من الداخل وعدت إلى حجرة الاستقبال فجلست على مقعد بها ثم أشعلت سيجارة أخذت انفث دخانها على الباب الأمامي .

وفوجئت بمفتاح يدور في مخدع النوم ثم رايت بابه ينفتح وتخرج منه "ليل" بادية الجمال أروع مما كانت في الليلة الماضية. ولما شاهدتني ضاقت عيناها وهتفت : انت ؟!

قلت : هل فاجاتك رؤيتي ؟

وارتفعت الطرقات على الباب إذ ذاك فقالت :

- يا للشيطان سوف يحطمك "ميكي" أيها البطل المسكين !

ومشت إلى الباب فصحت بها :

- إذا فتحت له وتركته يدخل فسوف تندمين اشد الندم لأن "ميكي" ثائر بعد أن عاونته على إيذاء نفسه ولن يصغي إلى نداء العقل ولن يستمع إلى نصيحتك بوجوب التروي وأثرت فيها كلماتي الهادئة المليئة بالثقة والاعتداد بالنفس فاستدارت تواجهني مرة أخرى وتسالني :

- ماذا تعني ؟

قلت :

- أعني انك في حاجة إلى ما سأقوله لك .. ما جئت لأقضي به إليك .. أما إذا تدخل هذا الوحش الذي تسمينه "ميكي" وتركته يلتهمني أو يعصرني بين أصابعه فقد ضاعت عليك فرصة سماع مالدي ، وسوف تأسفين يا "ليل" .

فترددت قليلاً ، ورايت فرصتي في الميزان فلم أشا أن أبالغ فاقلب خطتي المواتية راساً على عقب ولذلك أخلدت إلى الصمت ، فمضت إلى الباب وصاحت :

- اذهب انت يا "ميكي" فإن لدي ما أحب أن أقوله له . فقال وصوته يقطر بالألم والكراهية :

- ولكنه يا "ليل" ركلني وكادت رقبتي تدق على الدرج ! إنه ليس سائق سيارة فإنني لم أجد (تاكسي) عند الباب .

فعادت تصيح به راعدة :

- قلت لك اذهب وانتظر في السيارة .

وادركت انه سينتظر في السيارة الأمريكية التي رايتها عند الباب ، ولكنه عاد يضرع قائلا :

- أصغي إلي يا "ليل" .. لا سلامة لك معه وأخشى أن يثور "مانويل" علي إذا حدث .. فقاطعته نافدة الصبر :

- ساعتني بنفسي .. اذهب ولا تخش شيئا .

ومضى "ميكي" فعادت إلي .. ورحت أتطلع حولي في الحجرة بدافع من حب الاستطلاع فرايت تليفوناً أخضر بلون الستائر المسدولة على النوافذ ، ونهضت أعبر الحجرة وانحنيت على التليفون أقرا رقمه فإذا به نفس الرقم الذي أعطتنيه "جلوريا" وكتبته على الورقة التي مازلت احتفظ بها في جيبي ، وايقنت أن "كازينو" لم يخادعني قط .

ويبدو أن "ليل" أساءت فهم مقصدي ، إذ صاحت بي :

- ابتعد عن التليفون يا "ارسين لوبين" .. ابتعد أيها السائق المزيف .

وعزعلي أن تنتهرني هذه الحسناء وأنا الذي كان اسمي منذ سنوات يرجف قلوب أخطر المجرمين .. ولكني ما إن استدرت حتى وجدتها مشهرة مسدسها متجهمة الأسارير فانفجرت ضاحكا وغاظها ذلك مني فقالت :

- ماذا يضحكك أيها البعوضة ؟

قلت :

- الا يكون مسدسك أخضر كذلك أيتها الفراشة السمراء .

ثم انتزعت شارة القيادة من صدري وجلست في أحد المقاعد ببطء . ولم تشا أن تفلت الفرصة فجلست أمامي ومسدسها مازال مسدداً نحوي ، ثم قالت :

- والآن دعنا من الهذر وقل لي ما جئت تقضي به إلي .

فابتسمت وأجبتها :

www.liilas.com/vb3

- هذا صحيح .. انا هنا لصفقة تجارية .

قالت متهكمة :

- لاصفقة على الإطلاق لانك لا تملك ما تتجر فيه !

وخلت الزمن الذي انقضى على وجودي في الشقة ساعات طوالا دون أن يظهر أثراً لـ"كازينو" فقلت :

- اظنني أملك الكفاية لعقد الصفقة يا"ليل" ؟

فغامت على وجهها سحابة من التجهم أضاعت الكثير من جمال عينيها ولكنني أخذت بامتلاء قوامها الممشوق واعجبني ان أديم النظر إلى تلك الحيوانة الحسناء وإن كنت اعلم انني لن اجيد ترويضها وانها تكرهني كل الكراهية مما لمسته يطل من عينيها وأخيراً قالت في كبرياء :

- حسنا .. لنسمع ماديك .

فتركت رماد سيجارتي يتساقط على البساط الأخضر كأنما لاتعنيني توافه الأمور ثم قلت في بطء :

- اسمعي يا"ليل" .. اين "جلوريا" ؟

فتصلب وجهها حتى بدا كالتمثال ثم راحت تتفرسني صامتة كأنما تدعوني للمضي في حديثي فقلت :

- أنا لم اتصل بك تليفونيا منذ ساعة ؟

- أنا عارفة .. من الذي تحدث ؟

- رجل كان يريد أن يقول شيئا لـ"جلوريا"

- دعك من الهذر يا"لوبين"

وتاملت فوهة المسدس المسددة إليّ كأنها عين صقر يهم بالانقضاض على فريسته وبدأت أرثي لنفسي لانها يمكن ان تقتلني بسهولة وتعهد إلى "ميكي" التخلص من جثتي ..

وأخيرا قلت وانا أعض بريقي :

- أليست هذه شقة "جلوريا" ؟

فاجابتني وفي عينيها نظرات تتساءل عما ارمي إليه :

- إذا كنت تعني أن هذه شقة زوجها فنعم .

وشعرت بانفاسي تبارح جسمي لأن هذه إذن شقة "جوزيه سافيلا"

ولن تعود "جلوريا" قبل يوم آخر !!

وقبل أن يتسنى لي تقدير موقفي الحرج وتبين الأخطار التي تتهددني قالت :

- انت تكذب علي يارجل فلست تملك بضاعة على الإطلاق ولكنك تخادعني ويحسن أن أدعو "ميكي" ليتصرف معك قبل ان تهدأ ثائرته فشعرت أن كل عضلة في جسمي ترتجف وخاصة في الأمكنة التي عالجها "لاري" في بنسيون لارش معالجة لاتسر حتى ذكراها ! ولم أجد الوقت مناسباً لدخول "ميكي" فقلت فور أن وقفت على قدميها :

- حسنا . اسالي انت وعلي أن أجيب .

فقالت : سوف أجربك . اين الأوراق التي ارادت "جلوريا" أن تبحث لها انت عنها ؟

وهكذا عدنا إلى هذه الأوراق اللعينة البغيضة ! وكنت في الحقيقة لا أعلم شيئا عمليا عنها ومع ذلك يخيل إلى أن نصف لندن يطارد كل واحد من سكانه الآخر في البحث عنها ولم أستطع أن أغوص في تاملاتي هذه طويلا فقلت :

- أنا لم أعثر على هذه الأوراق .

فصاحت بي : لا تكذب !

وهمت بان تقف مرة أخرى فابتدرتها قائلا :

- اصغي إلي ! لقد سئمت ذكر هذه الأوراق واقسم لك أن عيني لم تجر عليها رغم ما يعتقده كل إنسان من انني أعلم كل شيء عنها !

- كذا ! ألا تعرف عنها شيئا ؟ ولكن "ماري فاريل" كانت تستقل سيارتك ولما خطف "جوزيه" حقيبتها لم يجد بها الأوراق فاين ذهبت ؟

- من أين لك انها كانت تحتفظ إذ ذاك بالأوراق معها ؟!

فحدجت بنظراتها وجهي مليا ، ثم قالت تنصحني :

- أجدر بك واجدى لك أن تكف عن الهذر لانني لا أحبه ولا استسيغه حتى ولو كان لطيفا وفي موضعه .

ثم مالت إلى الأمام كأنما ومض برأسها خاطر وسألتني :

- ومن تعني بقولك (كل إنسان) يعتقد انك تعرف كل شيء عن هذه الأوراق ؟

قلت :

- أعني "جلوريا" و"كازينو" و"برت مايلاند" ...

فالتقطت أنفاسها وقد تبدى عليها الرعب ، ثم وقفت على قدميها تتطلع إلي وتقول :

- أتعرف "مايلاند" ؟ إذن فأنت تعلم عن الكليشيهات ونقلها ، وأظنك ستخبرني أين هي فابتلعت الغصة التي كادت تختفي ، ثم قلت في خبث لأغطي جهلي :

- ربما ..

- ربما اتفقنا إذن وعقدنا الصفقة التجارية .

ولمست جديدا في صوتها وسمعت نغمة جديدة دقت جرسا في رأسي لأنتبه إلى أن هذا هو المفتاح وأن الأوراق و"برت مايلاند" يعنيان عند هذه المرأة أكثر مما تعنيه كراهيتها لي من أجل ما فعلته في "جوزيه سافيلا" . ولم يفتني أن أتساءل ، ألا يجوز أنها تمثل دوراء ولكنني استبعدت ذلك تماما وقلت :

- لاباس من الاتفاق على الصفقة .. فقط نبدأ بـ"جلوريا" .

وكان قولي هذا كافيا لأن يحيلها مرة أخرى حيوانا ضاريا إذ صاحت :

- لعنة الله على "جلوريا" ! انتظر دقيقة .. فربما كان لها دخل في ذلك !!

ولكني لم أدع لحظة واحدة تمر بل قلت قبل أن تتحرك في مقعدها :

- نعم لها دخل إذ بدونها لا يمكن حمل "مايلاند" على الكلام ... إنهم سيجرون له العملية الجراحية غدا وربما مات من جرائها . ألا ترين أنه كان من الغباء والحماقة إيذاء الرجل إلى هذا الحد الذي يهدد حياته ؟!

- هذا ما قلته لـ"مانويل" ..

- وهذه الغلطة تشبه غلطتك في أن تهددني بأن ياكلني هذا الغول المدعو "ميكي" !

فلم تضحك ولم تبتسم بل قالت على الفور وكأنها امرأة أعمال:

- حسنا يا"لوبين" .. لنبدأ بـ "جلوريا" .. إنها الآن في نادي (سيلفر)

آمنة ولا يهددها خطر . وكذلك لا حاجة بـ"مانويل" إلى أن يعلم بما سوف اتفق عليه معك . أفهمت ؟

والحقيقة أنني لم أفهم إذ كنت رجلا يتخبط في دياجير غرفة مظلمة وقد أوثقت يداه وربطت عيناه فلا يقوى على رؤية أو حراك .. وكل الذي فهمته أنها تريد أن تستغلني بدورها لو استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وأنا الذي كنت أضحك عاليا ممن يحاولون استغلال "آرسين لوبين" الذي دوخ الدنيا ثم قنع في هذه المرة بأن يكون متفرجا وأن يكتفي بأن يشبع حب الاستطلاع في نفسه الطفيلية .

وكنت أعلم أن نادي (سيلفر) من أسوأ المنتديات الليلية سمعة وصيتاً وأنه في سوهو ، ولكني لم أكن أعرف من يتولى إدارته إلى أن حدثتني بذلك "ليل" عندما أومأت إلي أنه منجم الذهب بالنسبة لـ"سافيلا" .. "مانويلا سافيلا" الذي يحتفظ بـ "جلوريا" سجينة لديه.. وقلت في بطء :

- أنت ذكية يا "ليل" وتنتظرك ثروة كبيرة ، ولكن الأمور تحتاج إلى مهارة في تصريفها .

والله وحده كان يعلم ما أعنيه ، لأنني إنما نطقت بكلمات فحسب بغرض التغرير بالمرأة وحملها على الكلام الذي يكشف لي عن الكثير مما أجهله وتظنني أعلمه ..

وأومأت برأسها موافقة ثم قالت :

- سنتولى تصريف الأمور بكل حكمة يا "لوبين" ، وبكل حذر .

وابتسمت لي لأول مرة ابتسامة عريضة .. والواقع أنني استطعت أن أعلم من لهفتها على الاتفاق الخفي بيننا أنها تتحرق على الثروة التي سوف تجلبها تلك الأوراق وتنسيها كل شيء حتى "جوزيه سافيلا" ووضعت ساقا على ساق ثم قلت في صوت خافت :

- هناك شيء واحد يجب أن تفهميه يا"ليل" .. وهو أن "جوزيه" يجب أن يذهب لأنه لاسبيل إلى الثروة مع وجوده .

وأعماها الطمع فأخذت بفكرتي على التو ، وأحست كأنما الثروة التي نتحدث عنها قد هبطت في حجرها وأصبحت حقيقة ماثلة تتغلب في نفسها على كل شعور أو عاطفة أخرى . وبرقت عيناها بالابتسام

والتمعتا أشبه بشمعة موقدة .. ووددت أن أنفجر ضاحكا لولا أن وجدتني واقفاً على حافة هاوية ، إذ أوقفت نفسي على شفا صخرة عالية تكفي خطوة طائشة واحدة لأن تجعلني أتردى عند سفحها جثة هامدة . وجعلت أتساءل أين "كازينو" أواعوانه وقد انقضى وقت طويل على الزمن الذي حدده لدخولي تلك المصيدة واقتحام هذا الفخ اللعين ؟

وتطلعت خفية إلى معصمي لأرى الساعة فوجدت أنني مكثت في الشقة خمساً وعشرين دقيقة خلتها أعواما طويلة . وقامت "ليل" لتجلس بجانبي وهي مازالت ممسكة مسدسها ولكنها لم تكن تسدده إليّ في هذه المرة ، فأدركت أنها رغم لهفتها ليست من الغباء في شيء ، ورثيت في نفسي لذلك المغفل "لاري فينكس" الذي تستغله هذه المرأة الداهية لمصلحتها وتوهمه بأنها تحبه . ولكن رثائي للرجل الأحمق كان ممزوجا بحقدي عليه ورغبتي في أن أنتقم منه .

وملأ أنفي عطرها الساحر ، وأدركت أن حظها الكبير من الثقافة لم يجعلها تنسى أنها حواء الفاتنة الخالبة ألباب الرجال وخاصة من يجب أن تستغلهم ويجثوا عند قدميها .

وشعرت بالمغص عندما أيقنت أن آخر ما في جعبتي من أكاذيب قد انتهى ، وأنني لو نطقت بكلام آخر فربما كشفت للمرأة عن خدعتي .

وأنقذني الجرس الذي قطع حبل الصمت الثقيل أشبه بقصف الرعد . وتطلعت إلى التليفون ولقيت صعوبة كبيرة في منع عيني من أن تغلقا في صلاة شاكرة سريعة .

وتحركت المرأة وانبعث العطر من شعرها وثوبها قويا ، ثم صاحت ساخطة وهي تقف على قدميها :

- سحقاً لهذا التليفون !

ومضت إليه والمسدس في يدها ، ثم التقطت السماعة وقالت في صوت حريري :

- هالو ..

وتولتها موجة من الدهش فصاحت :

- من .. "مانويل" ؟ ماذا حدث بالله يا "مانويل" ؟

الفصل السابع

وجلست في مقعدي ماخوذاً بالتغير الذي طرأ عليها بعد أن سمعت أول كلمات المحادثة التليفونية . ورحت أرمق مشدوهاً توالي الياس والعجب والاضطراب على أسارير المرأة الجميلة ثم كيف عضت شفتها السفلى القانية بأسنانها الناصعة في قسوة وكيف شهقت بعد ذلك وقالت :

- نعم .. سأتخذ كل حيطة وحذر .. نعم أعدك ذلك .. كلا ليس "ميكي" هنا فقد ركله "أرسين لوبين" على الدرج ثم أسرع يدخل ويغلق خلفه الباب بالمزلاج .

وراحت تصغي طويلا ثم نصبت قامتها في توتر غاضب رغم ارتجاف جسمها إلى أن قالت :

- يا للهَ ! إنني أكرهك يا "نيد" .. أحب أن أراك ؟! أنت .. حسنا .

ثم ألقت السماعة على المنضدة واستدارت تتفرسني لحظة ثم قالت لي في لهجة بغيضة :

- يريد أن يتحدث إليك .

وعجبت كيف تكلمت مع "مانويل سافيلا" ثم مع "نيد كازينو" وتساءلت أي جدران أربعة يمكن أن تضم هذين الرجلين معاً ؟! وشعرت بكابوس يجثم على صدري وقد خلتني فريسة اتفق عليها الخصمان "سافيلا" و"كازينو" واتخذا منها كبش الفداء ! وقمت أمسك بالسماعة واضعها على أذني ثم قلت :

- هالو .. أنا "أرسين لوبين" .

وخفت أن يفلت زمام التعقل من يدي "ليل" فتطلق على ظهري مسدسها ثم سمعت صوت "كازينو" يسألني :

- أهذا أنت يا "لوبين" ؟ لقد قمت بدورك جيدا ولكن يجب ألا تبقى عندك لأنك سوف تتعرض بعد قليل جداً لغزوة من أخطر الغزوات .

فصحت غير واثق بما سمعت :

- أتعرض لماذا ؟

فاعاد قوله ؟

- قلت سوف تتعرض لغزوة خطيرة جدا .

فوضعت يدي على بوق السماعة واستدرت للمرأة اقول لها :

- يقول إنني وانت سنتعرض للغزو بعد لحظات .

ولكنها اجابتني ثائرة :

- سحقا لك وله .

فعدت اتحدث إلى "كازينو" قائلا :

- لقد حدثت "ليل" بالغزوة المنتظرة فلم تصدق وتمنت ان اسحق معك سحقا .

ولكنه لم يضحك كما كنت أتوقع بل قال في صوت صارم جعل الدماء تهرب من شراييني :

- دعك من الهذر فإن الوقت يجري جريا وإذا لم تتحاش الغزوات اوقعت نفسك في المتاعب .

قلت محاولا أن اتماسك وألا أسفر عن جزعي :

- لقد ظللت أكثر من نصف ساعة ..

ولكنه قاطعني قائلا :

- أصغ إلي . انا الآن في نادي (سيلفر) وقد تحقق ما كنت اعتقده من أن "ليل" تلعب هذا الدور مع عزيزنا "مانويل"، و"جلوريا" في حاجة إلى المعونة بعد ان نجحت "ليل" في جعله ياسرها بدعوة مزيفة إلى النادي ظنا منهما أن يكون البوليس مازال يراقب شقة القاتل المتهم .

ويبدو أنه سمع أسناني تصطك لانه صاح بي على الفور :

- ماذا تقول ؟

فاجبته : لاشيء

وعاد يتكلم بسرعة كانما كان يريد حشد أكبر عدد ممكن من الكلمات في أصغر حيز مستطاع من الوقت :

- لقد تاكد لي أن الشقة غير مراقبة من البوليس وان "ليل" كانت تتوقع أن يتصل إنسان بـ "جلوريا" فاستعانت بـ "ميكي فارجس"

- لقد ركلت "ميكي" على الدرج ويود الآن لو يمزقني إربا إربا وفي هذه المرة انفجر "كازينو" ضاحكا ثم قال :

- سابلغ "مانويل" ما فعلته برجله العملاق .

ولم يرقني هذا المديح واستطرد يقول :

- فور أن اخبرت "ليل" زوجها "مانويل ساقيلا" بما حدث جمع اعوانه وطلب إليهم ان يدهموك في الشقة .

- اهذا هو الغزو ؟ وماعساي أن أصنع ؟

- سأتصل حالا برجال البوليس ليخفوا إلى نجدتك فيتبع الغزو غزو آخر أدهى وانكى ..

- هل من مزيد ؟

- نعم .. عندما يدخل رجال "دافيدسون" اهتم بان يكتشفوا القاع الزائف للدولاب الموجود بحجرة النوم الكبيرة .

وأقفل السكة قبل أن أمطره بسيل من الأسئلة فاستدرت إلى المرأة التي كانت تراقبني باهتمام ، وسألتها على الفور :

- اتعرفين أن رجال "مانويل" قادمون في طريقهم إلى هنا وتكتمين عني الخبر ؟!

فاجابتني ساخرة :

- وهل تخشى المتاعب إلى هذا الحد يا "أرسين لوبين" ؟

- إذن فانت بسبيل استجوابي يا "ليل" ؟ إنك كنت ستظفرين مني ببعض الحقائق الطريفة ومع ذلك لاتجزعي لما سوف القاه دون أن افضي إليك بما يهمك .

- إنني أرحب بان يعطي "مانويل" درسا قاسيا لكل أفراد الكوماندو العاملين تحت لواء "كازينو" إلى أن يجيء دور "كازينو" نفسه .

- ولكنك تعلمين أن "كازينو" أستاذ يعطي غيره دروساً ! وما كنت اعتقد أن تقضي هكذا هادئة وان تخفي عني خبر قرب مجيء أعوان "ساقيلا" لتمزيقي ونهش أشلائي !

- ولماذا أخفيت انت عني أن "كازينو" ذهب مع أعوانه إلى نادي "سيلفر" فلم أعرف إلا عندما كلمني فور أن انتهى "مانويل" من حديثه معي ؟

فهززت راسي ثم قلت :

- ثقي انني لم اكن اعلم اين ذهب وانني جئت هنا لانه طلب إلي

ذلك وأدركت من حديثه أنه سيلحق بي بعد قليل .

وكانت تجري الأمور في تلك الشقة كانما يحركها مخرج ماهر . إذ سرعان مادوت الطرقات على الباب وارتفع صياح (ميكي فارجس) اشبه بولولة المختنق :

- الأولاد هنا يا "ليل" ..افتحي !

وبدا على "ليل" أنها لم تعد تقوى على احتمال التحدث إلى سائق السيارة الماكر فجرت إلى الباب ثم رفعت مزلاجه ودعتهم قائلة :

- ادخلوا يا أولاد .. تفضلوا والهيوا ظهر هذا السائق الهاوي!!

وسرعان ما دخل حوالي ستة يتقدمهم "ميكي" وقد ارتسمت الدمامة والقسوة على وجوههم . واندفع "ميكي" نحوي فانشب إحدى يديه في كتفي وضغطها بقوة ووحشية أحسست معها أن لحمي قد هراته مخالب فولاذية . وفي اللحظة التالية كنت منبطحاً على الأرض وركبة الوغد على بطني ، ثم راح يكيل لوجهي اللكمات في غير مارحمة أو هوادة . وسمعت أحد الأعوان الإبالسة يهيب به :

- حطم الأحمق بقدمك يا "ميكي"

وضجوا في ضحكاتهم بينما كانت تنهال ركلاته عنيفة على جسمي وتصطدم بعظامي .

ويبدو أنني أفسدت عليهم لعبتهم بعدم مقاومتي ، وكانما جرح ذلك كبرياءهم فازدادوا وحشية وراحوا يتعاونون على لطمي وركلي حتى وددت لو يغمى علي فلا أحس بتلك الضربات القاتلة . ومنعتني عزة النفس من الصياح بالضراعة وطلب الرحمة والشفقة، ولو حاولت لما وجدت انفاساً كافية للصياح !! ولم أقو على فتح عيني وقد غامت عليهما سحابة حمراء وأخيراً حاولت أن اصرخ لعلي استنفد اخر طاقة في كياني فيعاجلني الإغماء واستريح لحظات من الامي المبرحة... ثم سمعت وكأنني في حلم صوت المرأة وهي تقول :

- كفى يا أولاد . كفى يا "ميكي" .. لقد قلت كفى الا تسمعون؟!

وانقطعت عني الركلات والضربات لاسمع صرخات اخرى وجلبة وصياحا ، وأحسست بشيء يلمس أعصابي ويبدد غشيتي ففتحت عيني في بطء لأرى رجلين يحملانني إلى الحمام يغسلان جراحي

وكدماتي بقطع من الإسفنج و الماء البارد .. وصاح أحدهما :

- مرة أخرى

فإذا براسي ينغمس مرة اخرى في حوض الماء البارد . وشهقت عندما وضعت على وجهي خرقة كبيرة مبللة وامتلأ فمي برائحة قوية منعشة . ولما فتحت عيني مرة ثانية قال لي أحدهما :

- أظننا جئنا في الوقت المناسب يا "لوبين" .

واحسست أن صوته مالوف لدي ومالبثت أن تفرست فيه لأجده الضابط "نيكلسون" الساعد الأيمن للمفتش "دافيد سون" الذي لايمكن أن يكون بعيداً عن ذلك المسرح في تلك اللحظة .

* * *

ونقلاني نصف محموم ونصف مسحوب إلى غرفة الاستقبال . وفي تلك الأثناء أمكنني أن أحرك عيني فتطلعت إلى المرأة لأشاهد منظراً لايسر ! وتمددت حزيناً على جمالي الذي شوهه الأوغاد !! وسرعان ما وجدت "دافيدسون" يضع مقعدا بجانبي ثم يسألني في صوت جاف :

- أتقوى على كلامي يا "لوبين" ؟

فقلت :

- سأحاول .. سأجلس أولا

ولكن محاولتي جعلتني اتصبب بالعرق واشعر بالألم يرعشني، بيد انني تحملت ، وتجلدت لأن الغيظ كان يتملكني ورغبتي في الانتقام كانت تلهبني .. وعدت أقول :

- سأحاول أن أتكلم يا مستر "دافيدسون" .

وبرقت اسارير المفتش ثم قال :

- لادعي للكلام إذا كان يرهقك الآن يا "لوبين" . وإذا كنت تريد طبيبا فإنني ..

ولكني قاطعته صائحا :

- فليذهب جميع الأطباء في لندن إلى الشيطان ؟

والمني حلقي لما خلته صياحاً وهو لا يعدو أن يكون أشبه بالحشرجة فقلت :

- اسقني شرابا يا مستر "دافيدسون" ، ولتعلم أنني رجلك منذ هذه اللحظة .

وأسرع أحد رجاله فجاء بكوب صب فيه بعض الشراب .. وأمسكت بالكوب محاولا أن تبقى يدي ثابتة حوله ، ولكن الشراب تناثر فوق حجري ورأيت المفتش يتطلع إلي رائيا ثم تقدم ليعاونني فهززت رأسي كأنما يؤلمني أن أبدو أمامه ضعيفا وقلت:

- كلا .. كلا

فتراجع خطوة وقد أدرك أنني لا أتقبل أي مساعدة في تلك اللحظة . ورفعت الكاس إلى فمي ثم افرغتها بجهد في حلقي فاحسست تحسناً وقلت :

- الآن أستطيع أن أتكلم .

فاومأ "دافيدسون" برأسه وجلس مرة أخرى إلى جانبي ورأيت أحد رجاله يخرج مفكرة وقلماً فقلت :

- منذ أيام بحثت عني مسز "جوزيه سافيلا" وسألتني عن زوجها . أعني أنها كانت تريد أن تعرف شيئا عن المرأة التي قتلها في سيارتي.. ولم تسألني عن شيء لم أخبرك به يا مستر "دافيدسون" .. ولكنها كانت تريد معرفة ذلك لنفسها ولتستوثق من شيء كان يدور برأسها .

ورأيت المفتش "دافيدسون" يومئ برأسه وشاهدته يبتسم في وجهي ليشجعني على المضي في الكلام فاغتبطت وطلبت كأسا أخرى من الشراب وأنا أضحك في سري لاستخدام مفتش البوليس في تزويدي بالشراب باسم الطب ! وعدت لحديثي :

- قالت لي إنها تريد أن تعاونني وكان يبدو عليها الخوف من استهدافي للمتاعب لا من البوليس . وإنما لأنني قلت للبوليس ما كنت أعلمه . أتفهمني يا مستر "دافيدسون" ؟

وكنت حريصا على أن يكون حديثي معه واضحا .. فأجابني :

- نعم يا "لوبين" . استمر .. أرجوك إذا كان الاستمرار لايتعبك.

قلت :

- أنا بخير ولكن حلقي .. جاف جداً يحتاج إلى قطرات أخرى من الشراب .. فتجهمت أساريره إما خشية عليّ من الإفراط ، أو الخوف

من أن أصبح في حالة لا تسمح لي بالإفضاء إليه بما يريده ، ولكن الرجل الذي كان يحمل زجاجة الشراب كان كريما فبادر يسكب لي في الكاس قطرات سخية من الصهباء الشقراء ! وما إن ابتلعت الكاس - اي ما كان فيها - حتى افقت إلى أنني فقدت إحدى أسناني !!

وضايقني ذلك كثيرا ولم أفق من تأملات الغيظ و الحنق إلا على صوت المفتش يسألني :

- ما بالك .. هل تريد النوم يا "لوبين" ؟

فقلت : لا .. لا .

- إذن استمر .. كنت تقول إن مسز "جوزيه سافيلا" اخبرتك أنك قد تستهدف للخطر فهلا ذكرت لك اسم من قد تنالك منه المتاعب ؟

- كلا . لم تفصح لي عنه وتركتني أخمن .

وكنت أعلم أن مستر "دافيدسون" يهمه أن يعرف ما وقع عليه تخميني ولكني استطردت قائلا :

- وفاجأتني بانها ليست حانقة علي لقتلي زوجها .

- المهم ماذا حدث ومتى جئت إلى هنا .

- الليلة .

- اتعني انك لم تأت إلى هنا قبل الليلة ؟

- هذا صحيح . وقد جئت بناء على دعوتها .

- ولماذا لم تأت من قبل ؟

والواقع انني كنت أرحب بكل سؤال يلقيه علي فقلت على طريقتي :

- لا أكتمك أنني كنت زري الهيئة إلى أن أمدني "كازينو" بحلتي الأنيقة فاستطعت أن أجيء مرفوع الرأس .

- وماذا حدث عندما وصلت ؟

- وجدت لقاء حارا في انتظاري وظننتني سائراً إلى مصيدة .

- لعلك كنت سائرا إليها بالفعل !

- كلا .. كلا .. إنهم كانوا يعلمون بلاشك أنك قادم إلى هنا .. وبالمناسبة .. كيف حدث أن جئت أنت إليّ يا مستر "دافيدسون"؟

ففكر لحظة قبل أن يجيبني :

- وصلت إلى بعض الأخبار يا "لوبين" . هل أخبرت "نيد كازيون"

بانك قادم إلى هنا ؟

- ربما .. لست واثقا .

- أتعرف أين كان "نيدذاهباً عندما غادرت مستشفى لامبث ؟

- أظنه قال إنه ذاهب إلى (وست اند) لأنني لم أكن أوليه كل انتباهي إذ ذاك

- ألم يذكر أمامك اسم منتدى ليلي ؟

- ربما . فقد سمعت أسماء عدة أندية مثل نادي القرد الأسود ونادي الأبساييد ونادي سيلفر ..

وترددت بعد ذكر النادي الأخير فقال :

- نادي سيلفر ! ألم يقل "نيد" إنه ذاهب إلى هناك الليلة ؟

- ربما .. فإن رأسي يلف وأشعر بدوار شديد يمنعني من تركيز أفكاري .

فتطلع إلي بنظرة ماكرة كأنما كان واثقا بأن رأسي يقوى على كل تفكير وتركيز ثم غمغم قائلا :

- لايهم .. لايهم .

- ولكنك لم تقل لي كيف علمت أنني هنا .

- تلقيت مكالمة تليفونية من مكان قريب من نادي سيلفر بأنك في هذا العنوان يتهددك خطر "مانويل سافيلا" الذي يعمل على الانتقام منك لأخيه ويخيل إلي أن "كازينو" هو الذي حدثني وانه يعمل ضد "مانويل سافيلا" بغير هوادة .

- إن "سافيلا" هو مدير نادي سيلفر .

- هذا ما أعلمه ويعلمه القليلون فقط .

- ألا يجوز أن التي حدثتك مسز "سافيلا" ؟

- كان الصوت صوت رجل يا "لوبين" .

- لعل الذي تكلم أحد أصدقائها .

- أظنها قالت لك شيئا عن زوجها وأخيه .

- هي ؟

- مسز "جلوريا سافيلا" .

- أوه .. نعم ، بلاشك .. نعم قالت .. قالت إن الأخوين استعملا

هذه الشقة مرات كثيرة ولذلك لم تمكث مع زوجها .. لم تقو على ذلك .. وكانت تبكي عندما أخبرتني بأنها لم تحتمل أن تبقى في مكان به مخابئ سرية وقيعان زائفة للدواليب الكبيرة .

و كان المفتش قد حبس أعوان "سافيلا" مع "ليل" في حجرة النوم الكبيرة ، فلما فتح بابها انقضوا في وجهي كأنما يريدون استكمال ما منعهم عنه المفتش بوصوله ! وزاد حقدهم عندما خرج "دافيدسون" من مخدع النوم ، ومعه اثنا عشر صندوقا مليئة بالهروبين وجدها في القاع الزائف !

وجعلت "ليل" تصرخ وتنكر معرفتها شيئا عن هذه الصناديق ومخابئها ، وحاول "ميكي" أن يحطم قيوده ، بينما استسلم الآخرون لليأس والقنوط . وقال "دافيدسون" لرجاله :

- خذوا هذه الشرذمة

فاقتادوا تلك العصبة الشريرة وأخلوا منها الحجرة ، واستدار المفتش يقول :

- سنذهب بك إلى المستشفى يا "لوبين" .

وعبثا حاولت أن أحتج وأن أؤكد أنني بخير ، إذ قال في إصرار :

- هناك يجب أن تبقى يا "لوبين" .. تعال فسأذهب بك بنفسي

وقمت على قدمي أغالب الآلام التي كانت لاتزال تغشاني ، ولما رآني أترنح قال :

- إن الشراب الذي احتسيته يكفي رجلاً معافى يا "لوبين" وأخشى أن يكون امتناعك عن الذهاب إلى المستشفى هذيان شديد .. دعني أسندك .

وهكذا قضيت بقية الليلة في عنبر بالمستشفى .

www.liilas.com/vb3 RAYAHEENA

الفصل الثامن

وهناك وضعوني في آخر سرير بالعنبر ولكني رفضت أن يلفوا الضمادات على وجهي وإن قبلت أن يضمدوا ضلوعي . ولحسن الحظ لم ينكسر لي ضلع واحد ولكن رضوضي كانت سيئة للغاية ، فلما خلعوا ملابسي انتابتني صدمة شديدة ، وعندما أويت إلى الفراش مضت الممرضة لتجيئني بمنوم ، ورأيت ملابسي توضع في صوان بحجرة داخلية أمام البسطة الخارجية للدرج .

وجاءتني الممرضة الرحيمة بشرابي : زجاجة من اللبن الدافئ شربته على مهل وببطء شديد كان حلقي كان يؤلمني ، فلما نفد صبر الممرضة غادرتني ، فأسرعت أسكب اللبن في وعاء وجدته بجانب الصوان الصغير الموضوع لصق فراش وعندما عادت الممرضة تظاهرت بأنني ارتشف آخر قطرة في الزجاجة ، فابتسمت وقالت راثية :

- أنت ولد طيب مطواع !

واغتبطت لأن كلمة (ولد) تساق دائما في معرض وصف الشباب، ثم رمقت في النهاية المقابلة من العنبر رجلا من رجال "دافيدسون" جالساً فوق مقعد ، فقلت للممرضة :

- إنني أختلج من تيارات الهواء ولا أحب أن أصاب ببرد بسبب بقائي في هذا الجانب .

فعادت تبتسم معتدة مع ذلك بتفوق معلوماتها ثم قالت :

- حسناً يا مستر "ثرثار" !

ومالبثت أن جاءت بستار حجب عني رجل البوليس الرابض في مقعده ، الذي لا أرتاح لرؤيته ، وخرجت الممرضة فرقدت في سريري مغمض العينين مرهف السمع لكل حركة في العنبر ، وكانت رقدتي مصدر عذاب لي ولكني حاولت أن اقتل الساعات الأولى بالتفكير فيما أعتزم عمله .

أردت أولا أن أستوثق مما وجده مفتش البوليس عندما اقتحم قاع الدولاب الزائف بمخدع النوم ، لاأعرف هل عثر على شيء آخر غير

صناديق الهروين ... وما هو هذا الشيء ؟ أهو مثلا الورقة التي اهتدت إليها "جلوريا" زوجة "جوزيه" في سيارتي ؟ والواقع أن هذه الورقة اللعينة كانت مصدر متاعبي ، وكل ما أعلمه أن لها دخلا بسرقة بعض الكليشيهات الخاصة بطبع الأوراق المالية المزيفة الإنجليزية والأمريكية . وتذكرت ما غمغم به "برت مايلاند" وسط ضماداته فقد اكتشف أمرها قلم المخابرات السرية البريطاني ومن بين ضباطه الكابتن "فاريل" ثم اختفت هذه الكليشيهات بعد ذلك ، وإلى هنا انتهت معلوماتي .

وأعقب ذلك في الترتيب مقتل الكابتن "فاريل" في حادث بعد أن كتب إلى "مايلاند" يطلب معاونته في أمر على جانب كبير من الخطر . وهذا المشروع وذلك السر أودعهما زوجته التي قدمت إلى لندن وقتلها "جوزيه سافيلا"

وفي أثناء التحقيق قرر المفتش "دافيدسون" أن "جوزيه سافيلا" حجز حجرة للقتيلة "ماري فاريل" بفندق "بيلا مونتانا في ميدان بيد فورد ، وهذا التقرير يبدو لي الآن أهم مما كان في أثناء المحاكمة .

وكان مدير الفندق واثقا كل الثقة بأن "جوزيه سافيلا" هو الذي احتجز هذه الحجرة ، كما قرر أن "جوزيه" ذهب بنفسه إلى الفندق ليطمئن إلى أنها مريحة ! وهذا من الغرابة بمكان ويعتبر تضييعاً للجهد مادام كان يعتزم قتل المرأة قبل وصولها إلى الفندق فلماذا يا ترى جشم نفسه هذا العناء الذي لاطائل تحته ؟

ولم يستسغ عقلي سوى جواب واحد لهذا السؤال وهو أن شيئا حدث وجعل "سافيلا" يقتل المرأة بين وقت احتجاز الحجرة ووصولها إلى سانت بنكراس حيث اختارت سيارتي وعندئذ ومضت برأسي عبارة قالها لي "كازينو" .. عبارة عن كذب معلوماتي وأنها ربما قدمت إلى لندن لتقابل إنسانا آخر غير "جوزيه سافيلا" . وهذه العبارة جديرة بدورها بالاهتمام والتفكير ولكنها كغيرها لم توصلني إلى شيء ، لأنني لم أكن أعلم من التفاصيل ما يمكنني من ربط الحوادث معا دون أن تفصلها ثغرات كبيرة متعددة .

ولم أدر كم من الزمن قضيت في تدبر هذه المشكلة وتقليبها في

خاطري . وحاولت جاهداً أن أكتشف سرها ولكن الحقيقة كانت أبعد من أن أستطيع رؤيتها . وشعرت بجسمي ينهك وبقواي العاقلة تتعب وبانني في حاجة ماسة إلى النوم . ولكني لم أكن أرغب في أن انام بذلك المستشفى وإن لم أدر كيف تنجح خطتي المجنونة في الهرب ؟!

وعولت على أن أغادر العنبر أولا ثم أبارح المستشفى دون أن يعلم رجل سكوتلانديارد ودون أن يطاردني "دافيدسون" في الصباح .

لم أقو على مقاومة الإغراء بالهرب . ورفعت عني الأغطية وأخرجت قدمي من الفراش واضطررت إلى أن أعض لساني لأحول دون صياحي بالألم و أنا أعذب جسمي بالانحناء والانثناء عند مبارحتي السرير . فلما نصبت قامتي زايلني كثير من الألم والدوار وغلبتني الحماسة فتسللت تاركا خلفي زملائي المرضى يغطون ويشخرون . ولم يكن مضيئا بالعنبر غير مصباح واحد أظنه كان على المنضدة حيث كانت الممرضة الليلية تقرأ أحد الكتب .

لم أكن واثقا لأنني كنت أتحرك خلف الستار الذي كانت الممرضة قد وضعته حول سريري وصرف الباب المؤدي إلى البسطة الخارجية وخفت أن يستيقظ المرضى القريبون منه . ولكن واحدا منهم لم ينتبه من نومه العميق . وتسللت إلى الدواليب، ثم أخذت أرتدي ملابسي وأنا أرتعد من البرد الشديد وتثقلني الضمادات المشدودة حول جسمي.

وبينما كنت ألف رباط عنقي شعرت باول موجة من الغثيان فتشبثت بباب الصوان وقد شملني الخوف وأنا أتمثل في خاطري صعوبة هبوط الدرج والخروج من المستشفى بهذا الضعف الذي يغشاني ووسط زمهرير البرد في هذه الليلة القارصة . وقلت لنفسي أعللها بالرجاء إن هذا الهواء البارد كفيل بأن يبعث النشاط في أوصالي ..

وتحملت وتجملت بالصبر والجلد ،إلى أن استعدت عزيمتي ورحت افكر في المشكلة الحقيقية التي تواجهني وهي تحاشي من يمكن أن يكون جالسا إذ ذاك بمكتب الاستقبال بالقرب من مدخل المستشفى . ولم تخطر ببالي صعوبة أخرى ، وإن كنت خفت الا تسعفني القوة

اللازمة للخروج . ولن يجد المفتش "دافيدسون" لمغادرتي المستشفى باعثا معقولا أو مبررا مقبولا . ولكن لم يكن يهمني ما يجده أوما يراه، لأن كل همي كان في أن أغادر المستشفى فحسب .. ولم أشأ أن أفكر طويلا فيما قد يتهددني من إغماء وسط طريقي إلى الخارج أوعند مدخل المستشفى ..

ومشيت شبه زاحف وشبه متوثب إلى البسطة التالية ، وقد أحاط بي سكون مطبق وكأني الشخص الوحيد الذي أوتي قوة الحراك إذ ذاك وقبل أن أصل إلى الطابق الأرضي حدث ما أرعبني فقد كنت وسط الدرج الواسع إلى الدهلز الكبير في الطابق الأرضي عندما فتح باب على غرة وخرج منه رجل وامرأة في هدوء . وكان الضوء الوحيد في الدهليز يكشف عن شعر الرجل الفضي وثوب المرأة الأزرق ، ثم سمعته يحدثها قائلا :

- أظنك أدركت أنني لا أوافق بحال على أن يتعاطى أي منبه على الإطلاق لأن ذلك يسيء إليه كثيراً .

واستمرا يقطعان الدهليز إلى أن خفت صوت الطبيب ، ثم انقطع باختفائه عن عيني بينما كنت أضغط نفسي ضغطا في الجدار .. ولحسن حظي كانت وقفتي في أحد الظلال فلم ينتبه إلى وجودي الطبيب أو الممرضة ..

وبقي علي أن أبلغ المدخل ثم أنطلق إلى الخارج قبل أن تفطن ممرضة الليل في عنبري إلى أن الستار الذي وضعته حولي إنما يخفي فراشا خاويا ؟ وبلغت الدهليز وتلفت حولي يساراً ويمينا ثم تنفست الصعداء عندما وجدته خالياً من كل مخلوق .. ومضيت إلى الضوء في النهاية البعيدة التي تمثل الردهة الأصلية للمدخل . وأحسست عندما بلغته أن أطرافي تتجمد وأن درجة حرارتي قد هبطت هبوطا يهددني بالانهيار والإغماء .

ولكن الرعب الذي تملكني بعد ذلك الهب النار في جسمي فقد شاهدت البواب الليلي يحمل تحت ذراعه صحيفة مسائية وفي يسراه قدحا من الشاي ، وهو يمضي إلى غرفة الاستقبال قائلا :

- ها هو الشاي .. وفيه سكر كاف ..

وسمعت صوتا نسائيا يجيبه :

- لاترفع صوتك هكذا يا بنستول فيسمعك أحد .. ؟

ولكنه قال ليطمئنها :

- لا أحد هنا يا عزيزتي وقد صنعت لك الشاي بيدي .

- ولماذا لم تات بقدح آخر لك ... ؟

- ساصنع لي قدحا عندما آتيك بقدحك الثاني

وسمعت غمغمة شاكرة ثم انزويت في ركن ظليل لأنني كنت أتوقع أن يعود الرجل مرة أخرى لصنع القدح الثاني . وكان في وسعي أن اندفع كالسهم المريش إلى المدخل ولكني اغريت نفسي بالتريث والتمكث على الرغم من أن ثائرة اعصابي كانت انذاك أكثر مما احتمل . وبعد دقيقتين تقريبا ، شاهدت البواب يغادر مكتب الاستقبال وعندما رفع عينه إلى المكان الذي كنت أقبع فيه ، تصبب العرق من جبيني وعنقي كانما هب علي فجاة تيار شديد البرودة . وسمعت الرجل يقول :

- لابد أن تشربي قدحاً آخر فإن الليلة قارصة ولتتمكني من الانتهاء من البلوفر الجميل فليس أجمل من صدر المراة في البلوفر !

وضحك الخبير بالنساء والجمال ضحكة أشبه بضحكة الضبع ! وانتهى عذابي عندما رن جرس التليفون العام فدخل الرجل مرة ثانية وسمعته يتكلم ويقول :

- أنا أسف .. لايمكن أن أتصل بالممرضة الآن لأنها في العمل الآن .. كل ما أستطيع أن أخبرك به ياسيدتي أن مستر "لوبين" مستغرق الآن في نومه .. كلا .. لاأستطيع .. حسناً جداً سابلغه بأسرع ماأستطيع .. ما هو الرقم .. لحظة ،احدة حتى اكتبه ..

وأعاد ذكر الرقم بضع مرات فتمكنت من حفظه عن ظهر قلب .. وعاد البواب يقول :

- أقول له من "جلوريا" ؟ "جلوريا" فقط .. شكراً طابت ليلتك وقبل أن يخطف المفتاح من اللوحة الكبيرة كنت عند الباب الخارجي ثم

فتحته في بطء . واستخفني الفرح حتى كدت أغني .. وبلغت الرصيف وبدأت أعدو إلى (كشك) للتليفون قبل أن يغمى علي من التعب والفرح والإعياء .

* * *

وخيل إلي أن عمراً انقضى بين طلبي الرقم الذي سمعت "جراين" بحجرة المستشفى يكرره ، وبين سماع صوت "جلوريا" قائلة :

- المستشفى ثانية ؟

فقلت بأعلى صوتي :

- اصغي إليَّ يا "جلوريا" .. أنا "أرسين لوبين"

ويبدو أن السرور قد تملكها إذ سرعان ما تبدل صوتها وصاحت : "لوبين" ماذا حدث يا "لوبين" ؟

أين أنت ؟

وكان يبدو في نبراتها مبلغ لهفتها على أن تعلم .. ووثبت للتو إلى راسي تلك الأوراق اللعينة فقلت لنفسي «لعلها تتلهف على معرفة ما أعلمه بشانها أكثر من لهفتها على معرفة ما حدث لي!» : ولكني قلت في صوت واهن بالضعف :

- لقد ارتديت ملابسي وغادرت المستشفى

فصاحت مشدوهة :

- ولكنهم ابلغوني منذ لحظات أنك مستغرق في نومك !؟

قلت :

- الواقع انهم اعطوني منوما ولكني خادعتهم ثم ترقبت الفرصة فتسللت خارجاً وسمعتك تتحدثين مع البواب الذي كرر رقم تليفونك وهو يكتبه لديه ولذلك بادرت فور خروجي من المستشفى فاتصلت بك لانني اود التحدث إليك في امر مهم واخلدت المراة لحظة طويلة إلى الصمت كانما تتدبر ما يمكن أن يكون عليه هذا الأمر من الأهمية فصحت بصوت ألم حنجرتي المصابة برضوض من الخارج :

- ماذا ؟! أما زلت هناك ؟

فاجابتني :

- نعم .. انا مازلت هنا ولكنني فقط افكر يا "لوبين" ويقلقني ما يبدو على صوتك من أثر التعب والمرض .

- انا احسن حالا .

- اين انت ؟

فاخبرتها قدر ما أستطيع ، ثم قلت :

- بالقرب من منتزه صغير ، غير محاط بسياج منذ ان اتت عليه قنابل الأعداء ...

سأذهب إلى هذا المنتزه واتمدد على اريكة فيه إلى أن تاتي وتاخذيني .

- ولكنني لا امتلك سيارة واخاف الا يصادفني (تاكسي) في هذه الساعة ، ولا احب كذلك أن أطلب سيارة من إحدى الشركات خشية أن يكون .

ولم ادر هل كانت هذه الخشية من أجلها أو من أجلي ، ورغم ذلك قاطعتها قائلا :

- إليك يا "جلوريا" هذا الرقم .. رقم حظيرة السيارات التي كنت أعمل بها ..

اطلبي "شارلي ريس" فهو الحارس الليلي واغريه بالنقود التي ترضيه ولا تترددي في أن تعرضي عليه خمسة جنيهات فهو يعمل كل شيء ليحصل عليها ، وإذا تعلل برجل يدعى "باومان" فقولي له : "ارسين لوبين" يقول لك إن "باومان" لن يعطيك خمسة جنيهات، ولاباس من أن تقولي له : إن " ارسين لوبين" يقول إن باومان خنزير بلاذيل» إلى اللقاء قبل أن اقع مغشيا علي .

وخرجت اترنح من فرط الإعياء وقد ساءت حالتي .. ومضيت شبه زاحف إلى المنتزه الصغير ، ثم جررت نفسي جراً فوق إحدى الأرائك حيث استغرقت من فوري في النوم . واستيقظت على يد تهز كتفي في رفق ، وعطر يملأ أنفي ، وشيء يداعب وجهي ويدغدغ انفي .. وسمعت امراة تقول :

- عاوني بالله عليك .

وعرفت صوتها فغمغمت قائلا :

- "جلوريا" .. "جلوريا" ..

فاجابت تهدئ من جاشي بصوتها الناعم الحنون :

- كل شيء على ما يرام ، وسنذهب بك إلى المنزل يا عزيزي .

وعبثا حاولت أن انهض وأن اجلس على الأريكة ، فامتدت حولي ذراعا رجل وارتفع صوته الأجش يقول :

- يجب أن نذهب به إلى المستشفى يا سيدتي فإن نظرة إليه تكفي لمعرفة انه مريض جدا ومحموم .

وبجهد تصنعت ضحكة عالية آلمتني ، ولكن الرجل قال غاضباً وهو يحملني إلى سيارته :

- أهذه ضحكة ثمل ؟

فقالت "جلوريا" في نبرات تفيض بالاعتذار وقد ادركت لعبتي :

- هو ذلك ، وإن لم يفعل ذلك في حياته من قبل .

وقنع السائق بانني افرطت في الشراب ، وأن فتاتي جاءت لتحملني إلى منزلنا .

واجلساني بينهما في السيارة خلف عجلة القيادة بالتاكيد . ومن عجب أن هذا السائق هو نفسه الذي سلمته السيارة بالحظيرة في الليلة السابقة فقط ، ولكنه لم يتعرف علي مما دلني على أن حالتي كانت بالغة السوء .. وهبطنا امام بناء مكون من بضع شقق على كثب من شارع كنج ، ثم صرفت "جلوريا" السائق وأدخلتني إلى الطابق الأرضي ، وبعد أن أسدلت ستائر النوافذ اضاءت النور .

وتطلعت إلى وجهها الصبيح الفاتن وقد تالق شعرها تحت النور أشبه بسبيكة من الذهب .. وانحنت علي بقوامها الرشيق فامتلأت انفاسي بعطرها الذي يوائمها ويزيد في أنوثتها الصارخة ، ثم قالت بصوت يختلج بشتى الانفعالات :

- كيف حالك الآن يا "لوبين" ؟

فادرت راسي على وسادة الفراش الذي اسلمتني إليه ثم حملقت إليها مليا دون أن اقوى على النطق ، فاطبقت بفمها على شفتي تمسحهما . ووددت أن اغمض عيني واستسلم لنشوة هذه اللحظة إلى الأبد ، ولكن عيني ظلتا مفتوحتين إلى أن تراجعت "جلوريا" في كثير

من الارتباك ! وأردت أن أفهمها على الفور أن قبلتها مصطنعة لغرض في نفسها ولغاية تريد تحقيقها . فرفعت نفسي في الحال على مرفقي وقلت :

- لا أكتمك يا "جلوريا" أن الورقة التي أخذتها من السيارة في الليلة الماضية مصدر متاعب كثيرة فإن "نيد" ..

فرمقتني بنظرة حادة وصاحت :

- وما دخل هذا بـ"نيد" وغيره ؟!

ولم أشأ أن أتراجع فرمقتها بمثل نظرتها وقلت :

- أنت أولا تحبينه كما فهمت منك ومن "ليلان" ومن كل إنسان .

فانفجرت ضاحكة ثم قالت ساخرة .

- وأظنك أخبرت "نيد" بذلك بالتأكيد ؟

ولم أدر سببا لسخريتها وإن مضيت أجيبها :

- عندما وجدت البوليس جادا في بحث ملابسات موت "فاريل" أو مقتله اضطررت أن أوضح لـ"نيد" كل ما حدث دون أن أكتم عنه شيئا .. و مما تناوله حديثي معه ما قلته عن الورقة التي كانت مع زوجة "فاريل" (أختك ماري) والتي قلت عنها لو أنها وقعت في أيدي البوليس لكان هو الآن في غياهب السجن .

- وماذا كان وقع كلماتك عليه ؟

- تجهم وتدلت شفته السفلى واضطررت أن أذكره بأنك تحبينه وأنه يبادلك الحب .

- إذن فأنت ذكرته بذلك ؟

وكانت تتطلع إلي بطريقة لم أحفل بها على أية حال فأجبتها :

- هو ذلك . ألم تقل "ليل" إنك فقط تزوجت "جوزيه" نكاية في "نيد" وهذا معناه ..

فقاطعتني قائلة :

- كذا ! كذا !

ثم ابتسمت ابتسامة ماكرة واستطردت تقول :

- لا تحاول يا "لوبين" أن تلعب مرة أخرى دور "كيوبيد" .. إلا إذا كنت تريد الانتحار !

وجرت من الحجرة قبل أن تتيح لي فرصة سؤالها عما تعنيه . فرقدت وأسلمت رأسي للمخدة الناعمة وأنا أكرر لنفسي انني احمق مخلوق على ظهر البسيطة ! ذلك لأنني رأيتني أقحم نفسي في قضية متعددة الجوانب ، متشعبة المسالك ، متباينة معقدة ..

لن تفضي بي إلى غير السجن ما لم التزم الحيطة و أتوخى الحذر . كل الحذر .. فبعد بضع ساعات سيكون المفتش "دافيدسون" قد قلب لندن رأساً على عقب في البحث عني وعولت على أن أسأل "جلوريا" لماذا قابلت حديثي عن حبها لـ"نيد" بمثل تلك السخرية وهو الذي خلصها من مخالب "مانويل" بعد أن أطبقت عليها في نادي سيلفر، ولا يمكن أن تكون من نكران الجميل بهذه الصورة التي رأيتها! وكأنما كنت أكره أن تنكر الجميل حتى لاتنكر جميلي أنا الآخر ، ولم يتح لي أن أسألها أو أن أتحدث إليها في تلك الليلة لأنني مالبثت أن استغرقت في النوم . و لم أستيقظ إلا حوالي الساعة العاشرة صباحا لأجد الغرفة تسبح في ضياء الشمس وأجد "جلوريا" قد خلعت لي باقة قميصي و حذائي و لفتني في بعض الملاءات ، ووجدتني كذلك أنعم بالراحة و الدفء ، و أن رضوضي قد زايلها كثير من الآلام . وظللت راقدا أصغي إلى جلبة الطريق حتى قدمت "جلوريا" و قد ارتدت ثوبا جميلا تتناثر فوقه رسوم أزهار فاتنة و يضاعف من جمالها . وكانت عيناها غاية في الإشراق ، وابتسامتها قانية دافئة مليئة بالترحيب و التهليل و لكنها لغبطتي سألتني دهشة :

- أوه .. هل استيقظت ؟ كيف حالك الآن :

فقلت صادقا و أنا أرفع عني الملاءات و الأغطية :

- أخشى أن أكون جائعاً ياعصفورتي .

فأجابتني :

- اغتسل أولا واحلق تجد الفطور معدا .. لقد جئتك الآن فقط بماكينة للحلاقة و أنبوبة معجون لأسنانك .

و ازددت إيمانا بأنها امرأة قديرة وقلت :

- شكراً لك يا "جلوريا" .. لقد أتعبتك .

و جاءتني بأدوات الحلاقة ثم قالت :

- اتحب ان اعاونك على خلع ملابسك ؟ لا تنس انني امراة متزوجة و انني كنت في اثناء الحرب ممرضة

- اوه .. شكراً يا "جلوريا" . ساخلع ملابسي بنفسي و عانيت صامتا كل عذاب في الحلاقة و الاغتسال . ولكنني ما لبثت أن شعرت بالراحة والنشاط يدبان في أوصالي . ورمقتني في اهتمام و انا امضي إلى المائدة التي اعدت عليها الفطور . وكانت تدخن سيجارة فجلست لالتهم الطعام وقلت :

- ألا تفطرين معي ؟

ولكنها اعتذرت بانها تناولت فطورها منذ ساعتين على الأقل ثم استرسلت تقول :

- سنمضي في الثانية عشرة إلى سيكومب يا "لوبين" في سيارة أجرتها

وحسبتها تمزح فقلت بفم مليء بالطعام :

- اتظنيني في حاجة إلى بعض هواء البحر ؟

فاومات برأسها واجابت :

- هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى اهم لانه في سيكومب وقع حادث "فيليب فاريل" زوج اختي الراحلة "ماري"

فادركت انها جادة ولم تكن تمزح .

الفصل التاسع

وجعلت اتناول فطوري في بطء وانا غارق في لجة من الافكار . ووجدتني قد فقدت شهوتي للطعام لفرط ما شغلت رأسي فقلت :

- وماذا يحملك على القيام بدور البوليس السري ؟ هل تنتظرين جدوى من ذهابنا إلى مكان الحادث ؟

فاومات برأسها وقالت :

- بلاشك يا "لوبين" ويبدو أن شكوكا تساورك لانك لا تعلم الكثير مما اعلمه

- الواقع انني أجهل الكثير . مثال ذلك جهلي بمكان الأكليشيهات المسروقة بينما أنت تعلمين أين هي ...

وقد فاجاتها بحديثي عن الأكليشيهات لأرى وقع المفاجاة عليها.. وفعلا وجمت وحملقت إلى وجهي لحظة طويلة خلتها ستعترف بعدها ولكنها قالت :

- انا لا اعلم اين هي يا "لوبين" ويجب أن تصدقني ..

فوضعت الشوكة جانبا ثم تاملتها ملياً لاقول أخيرا :

- انا اصدقك يا "جلوريا" وساذهب معك إلى سيكومب وليعمل "دافيدسون" اقصى واسوا ماليديه . ولكني لا احتفظ معي بنقود فهل لك ان تذهبي إلى المصرف ....

فقاطعتني : اترك هذا لي .

واسترسلت قائلا وهي تعد القهوة :

- والشيء الآخر .. يجب الا تتركيني اتخبط في الظلام لجهلي أكثر الأمور

- ستحتسي قهوتك أولا .

وبعد أن صبت لي ملء فنجاني قالت :

- سابدا بأن أخبرك عن السبب في أنني تزوجت "جوزيه سافيلا" ..

- حسناً تفعلين فقد حيرني هذا كثيراً لأن زواجكما رباط يخالف كل طبيعة إنسانية فشكرتني بابتسامة فاترة وقالت : إن كثيرين غيرك لم

يجدوا في ذلك ما يدعو للحيرة ولم تساورهم الشكوك التي ساورتك في ...

- دعيني أعترف لك أولا بأن شكوكا لم تساورني من جهتك ، ولكني فقط صدقت انك تزوجته إغاظة ونكاية في "نيد كازينو" ..

- إنك رجل ذكي يا "لوبين" .

وخفت أن تكون ساخرة على عادتها فقلت : اتركي ذكائي الآن وامضي في قصتك ورحت ارتشف قهوتي .. ولم تتطلع إلي كانما كانت تفكر في كلماتها التالية ثم قالت :

- السبب الذي دفعني إلى زواج "جوزيه سافيلا" انني أردت أن ابتز أمواله بالتهديد .

قالت ذلك بكل هدوء ، ولكن فنجاني سقط على طبقه وكاد ينكسر ! ولم أنطق بحرف لاتركها تمضي في روايتها العجيبة المثيرة فتقول :

- كان أخي اللفتينانت "ترنت" ، وقد قتل كما قيل قضاء وقدراً بعد أن رسا بإحدى السفن إلى هذه البلاد من غرب المانيا ، فقد قامت السفينة برحلة سرية في الليل . وكان مفروضا أنها تحمل على ظهرها خططا وأجزاء من أسلحة (ف) الالمانية الجديدة ...

وهي أسلحة اكتشف قلم المخابرات البريطاني وجودها في مصانع تحت الأرض .. كان ذلك في نهاية مارس ، وكان القتال ما زال مستمرا بالمانيا ، وكان أخي في قلم المخابرات هذا مع الكابتن ..

قلت لأبين لها انني متتبع قصتها باهتمام : مع الكابتن "فيليب فاريل" ؟

فاومات برأسها واستطردت تقول : تماما يا "لوبين" ، فقد كان أخي "روبين ترنت" والكابتن "فيليب فاريل" صديقين حميمين . وقدم "فيليب" ليقضي الإجازة مع "روبين" ، هكذا تعرف بـ"ماري" أختي التي كانت تقضي عطلتها الأسبوعية في المنزل ..

وكان بين ما تحمله السفينة التي يقودها أخي "روبين" بعض الاكليشيهات المتقنة الصنع لتزييف الأوراق المالية الإنجليزية والأمريكية . ونحن نعلم الآن أن حفارين من أمهر الصناع أخذوا من البلاد المحتلة ليقوموا بمثل هذه الأعمال . وكانت فكرة الألمان أن

يغرقوا أوروبا وربما العالم بأوراق مالية مزيفة مطبوعة بهذه الاكليشيهات . وأظنك قرأت عن ذلك في الصحف .

- نعم قرأت عن ذلك وأن ذلك الاكتشاف أقام قائمة رجال اسكوتلانديارد وإن لم يهتدوا إلى كل الاكليشيهات .

- هو ذلك ومن بينها الاكليشيهات التي كانت في سفينة أخي .

وتطلعت إليها مترقباً مفاجأة جديدة فاسترسلت تقول :

- غادرت السفينة القارة ووصلت في الظلام إلى إنجلترا وما إن رست على الشاطئ حتى حدث انفجار على سطحها وقتل أخي بمثل ماقتل "فيليب فاريل" فيما بعد !

ورغم ذلك توقعت مفاجأة جديدة فرحت أرهف السمع وأنشات "جلوريا" تقول :

- كان في السفينة بعض الفدائيين (الكوماندو) بقيادة الكابتن "كازينو" ، فلما وقع الانفجار قذف بأخي وبعدد من الرجال إلى البحر كما انفجر جزء من جانب السفينة وقتل بعض الرجال وجرح البعض الآخر . ورفعت السفينة بعد أن غاصت حوالي ٣٦٠ سنتيمتراً ، وعثر على كل المواد المرسلة من قلم مخابرات الجيش البريطاني فيما عدا الاكليشيهات فقد اختفت يا "لوبين" أو على الأقل لم توجد على الإطلاق!!

- ألهذا تعتقدين أنها سرقت ؟

- لهذا ولسبب آخر .. قلت لك إن الكوماندو أي الفرقة الفدائية كانت بقيادة الكابتن "كازينو" ، ولكن "كازينو" لم يقم بتلك الرحلة فإن جثته لم يعثر عليها في البحر وكذلك لم يكن بين من انقذوا من براثن الموت . وكان يمكن الرجوع إلى السجل لولا أنه ضاع في أثناء الانفجار!!

- لابد أن الكابتن "فاريل" قد اهتم بالأمر وقام بعدة تحريات دقيقة .

- حدث قبيل التحقيق أن كتب "كازينو" لـ"فيليب فاريل" يؤكد له الصدمة التي شعر بها عندما سمع الحادث وانه يحمل للفتتانت "ترنت" كل شكر واعتراف بالجميل ، إذ أرسل إليه يعفيه من الاشتراك في تلك الرحلة فأعفاه من الموت في الحادث !!

www.alfalas.com

- وهل اطلع أحد على الرسالة التي تلقاها "كازينو" من اخيك اللفتنانت "ترنت" ؟

- لم يشك "فيليب فاريل" في الأمر بل قبله على عواهنه وبذلك لم يجئ ذكرللكابتن "كازينو" في التحقيق .. غير أن "فيليب" فقد صديقه الحميم فعول على أن يقوم بتحريات خاصة ومالبث أن اكتشف حقيقة مهمة وهي أن "كازينو" صعد إلى ظهر السفينة قبيل إقلاعها ببضع ساعات وهو يحمل حقيبة كبيرة ثم غادرها بعد نصف ساعة . وهو مازال يحمل نفس الحقيبة ! وقد أبدى أحد البحارة من فرقة الفدائيين استعداده للشهادة بذلك . ولكي أعاون "فيليب" في معرفة الحقيقة . بدأت أوثق علاقتي بـ"نيد كازينو" وأوطد صداقتي معه .

وصبت لنفسها فنجاناً آخر من القهوة ثم اشعلت سيجارة قبل أن تسألني :

- ألك أن تساعدني في غسل الصحون والفناجين لانني احب أن أترك الشقة نظيفة على الدوام قبل خروجي ؟

ولم أكن إلى تلك اللحظة قد أخبرتها بموافقتي على الخروج معها ولكنها كانت تأخذ أكثر الأمور قضية مسلمة . فقمت معها ورحت أجفف كل صحن وفنجان تغسله .. ولم أكن أجيد ذلك فتركت (طبقا) يهوي على الأرض فلم تؤنبني بل راحت تلم الشظايا في سكون وهي تقول :

- وسرعان ما أصبحت و"كازينو" صديقين حميمين وعجبت إذ وجدتني أستظرفه رغم اعتقادي أنه من أسوأ الناس وأكثرهم دهاء!

- اتعنين أنك كنت واثقة أنه سرق الأكليشيهات في حقيبته بعد أن ترك قنبلة موقوتة في السفينة ؟

فاجابتني في صراحة :

- الواقع أنني لم أشغل بالي بذلك كثيرا بل وجدتني بلافائدة لـ"فيليب" الذي أخبرني أنه توصل إلى أمور كثيرة منها ماقاله البحار الفدائي من أنه شاهد "كازينو" على ظهر السفينة قبل إقلاعها ومنها أن رجلا آخر شاهد "كازينو" في نفس اليوم يستقل قطاراً حاشداً بجنود في الإجازة ومازالت الحقيبة معه . وقضى "فيليب" بعض الوقت في

تحريات أسفرت عن الاهتداء إلى جاويش بالفرقة الفدائية أكد أنه شاهد "كازينو" يعطي الحقيبة إلى رجل اجنبي الملامح في مشرب عام بـ"هاروتش" .

- أظنني خمنت من يكون هذا الرجل !

- لم يكن - كما فهمت بالتأكيد - سوى "جوزيه سافيلا" . ومضى "فيليب" إلى حيث غرقت السفينة ولكنه وجد وفي رأسه جرح بالغ وقد امتلأت رئتاه بالماء . وانتهى التحقيق بانه مات قضاء وقدراً ولذلك قررت "ماري" أن تجيء بالأوراق التي قيد فيها "فيليب" مستنداته وأنت تعرف ماذا كان مصيرها بعد ذلك وأشعلت سيجارة أخرى ثم استرسلت تقول :

- فاتني أن أذكرك أن "فيليب" طلب إليَّ أن أستمر في نشاطي الخفي فاتعرف بـ"جوزيه سافيلا" ولم يكن ذلك صعبا فقد كان يتردد على الأندية الليلية مثل نادي سيلفر .

وهناك قابلته وتحدثت إليه عن "كازينو" . وكانت "ليلان" تكرهني لأنها كانت تريد "جوزيه" لنفسها وإن لم تستطع المخاطرة بفقد أخيه "مانويل" واهتمامه بها .

وابتسمت إذ رأتني أتتبعها باهتمام وكلي آذان صاغية ثم قالت :

- أظنك بدأت تهتم بالقصة أيها الروائي ؟

فاجبتها على الفور : لست روائياً ولاأذكر أن مكتبة انتفعت مني بشلن

- إذن أنت من النوع الذي يستعير الروايات ولايعيدها لأصحابها؟

- لم استعر رواية أو كتاباً قط .

ثم أمسكت بكتفها وادرتها صائحاً : لماذا تزوجت "جوزيه سافيلا" ؟ أكنت مجنونة ؟

قالت في صوت ناعم : أيهمك أن تعرف ؟

- كل الاهتمام .

وشعرت بحلقي من الجفاف بحيث لا أقوى على مزيد من الكلام فاكتفيت بأن قلت :

- استمري في قصتك .. انسي انني قاطعتك

- كان "نيد كازينو" قد اخبرني بأن "جوزيه" متزوج فلما حدث في ليلة أن غلبه السكر وطلب إليّ أن اتزوجه، قبلت على الفور وهكذا تزوجنا . وكان من السهل عليه أن ينسى زوجته التي كان قد تركها في جبل طارق وأزمع ألا يتصل بها بعد ذلك .

- إذن هذا ما قصدته من قولك إنك تزوجت "جوزيه" لتتمكني من ابتزاز نقوده بالتهديد .

- هذا ما قصدت إليه فما إن انقضت ساعة واحدة على زفافنا حتى جابهته بالحقائق المرة وقد أنصت إليّ وهو شبه رجل يستمع إلى الحكم عليه بالإعدام . وكاد يركع عند قدمي . فقلت له إنني سأظل متكتمة هذه المهزلة الزوجية مادام يطيعني وينفذ كل ما أطلبه منه وإلا..

قلت في حرارة : ألم تفطني إلى أنك كنت بذلك تخاطرين بحياتك ؟

فهزت رأسها وقالت : كلا يا "لوبين" ، ولم أفطن إلى أنني كنت أخاطر بحياة آخرين إذ لم ينقض على ذلك الزواج ثلاثة أيام حتى لقي زوج أختي مصرعه في سيكومب ..

وهناك رجل واحد - غير "جوزيه" - يعلم ما فعلته ، وهو "نيد كازينو" . فرحت اتحاشاه خصوصا بعد أن وضعت نفسي في معسكر الأعداء . وحدث بعد ذلك أن تلقت أختي رسالة بأن صديقاً لزوجها الراحل الكابتن "فيليب فاريل" يريد مقابلتها في لندن ، وأنه كان يعمل في خدمته مع مراسلته القديم "برت مايلاند" ، وأنه يرجو أن تحضر معها كل ما تركه زوجها "فيليب فاريل" من أوراق وقال الشخص المجهول إنه احتجز لها غرفة بفندق (بيلا مونتانا) . وقدمت إلى لندن .. وفي سانت بنكراس أقللتها أنت مصادفة في سيارتك .

- إذن "جوزيه" هو الذي دبر مقتلها .. ولكن ماذا عن حادث السفينة في سيكومب ؟

- لا أدري بعد ، فربما يكون من تدبير "جوزيه" أو "مانويل" أو "نيد كازينو" .

وبقي لدي سؤال أحببت أن تجاوبني عنه فقلت : إذا كان "جوزيه" قد عني بأن يحجز لأختك حجرة بالفندق وعمل على أن تجيء إلى لندن،

فلماذا أطلق عليها الرصاص ؟

فسألتني مشدوهة : ألا تعرف حقيقة ؟!

- كلا .

- عندما تلقت "ماري" .. هذه الدعوة من غريب عنها حاولت أن تتصل بي بشقة "جوزيه" ولكنني كنت في شقتي هذه التي اخترتها لنفسي .. ويبدو أن واحدة تلقت منها المكالمة التليفونية وادعت في رفق أنها صديقة حميمة لي وأزالت كل شكوك "ماري" .

- أتتهمين "ليلان" ؟

- نعم .. ومن حماقة أختي "ماري" أنها أفضت إليها بأن الأوراق التي تحملها كفيلة بأن تلقي "كازينو" في السجن ، كما أدركت منها "ليل" أن "جوزيه" في مأزق حرج . ولعلك أدركت بدورك لماذا هاج "جوزيه" للتفكير في أن أوراق أختي ستلقي "كازينو" في السجن ؟، ولماذا عول على قتلها قبل أن يتاح لها عمل شيء بهذه الأوراق ؟.

الفصل العاشر

كانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عندما استقللنا السيارة من شلسي .

ووضعت في المؤخر حقيبة تحتوي على بعض أشياء كانت لأخيها ثم أرسلت بعد وفاته لأختها "ماري" . فلما قتلت هذه أخذتها "جلوريا" واودعتها احد الأدراج . وعولنا على أن ننزل في فندق كرافن بسيكومب حيث كان يقيم "فاريل" وزوجته "ماري" . وأن نتخذ اسم "هندرسون" واخت له . وأن نمكث ما يكفي لتحاشي إلزامنا بتقديم بطاقات التموين والكشف عن حقيقتنا . ولم أكن أدري ما تسفر عنه هذه الرحلة. ولكنني لم أكن أعتزم النكوص بحال بعد أن وجدت في القصة ما يثير كوامن رجل مثلي اعتاد الاشتراك عمليا في كل جريمة غامضة تعترض سبيله . ولأنني اعتزمت - بعد التدليل لرجال اسكوتلانديارد على حسن طويتي - ألا أستمر في تظاهري بالعمل سائقا متواضعا . بل ساعاود نشاطي في نطاق واسع يتفق مع ماضيّ الحافل وشهرتي الواسعة.

وجلست في الخلف بجانب "جلوريا" معجبا بالروح العملية التي تغشاها بل وتغشى معظم النساء في أوروبا بعد أن ساهمن في الحرب عاملات وممرضات وموظفات .. جنبا لجنب مع الرجال! وانتعشت بالهواء الذي يصافح وجهي حتى إذا بلغت الساعة منتصف الثامنة توقفنا لنتناول الغداء في مكان يبعد خارج لندن حوالي ١٦ كيلو متراً وكنا قد تأخرنا عن الموعد وعلينا أن نتناول ما بقي في المطعم الخاوي من ماكل ومشرب .. ولم أدر لماذا توخت "جلوريا" أن تحدثني عن شقة "سافيلا" في ريبارك وعن القاع المزيف بدولاب مخدع النوم والذي حرص "كازينو" على أن ألفت إليه أنظار مفتش البوليس . وكان جليا أن "كازينو" يعرف محتوياته وكنت أظنه استقى هذه المعلومات من رفيقتي "جلوريا" ولكنها لم تتطوع باي إيضاح .

وراتني غائصا في أفكاري في أثناء تناول الطعام فابتسمت

وسألتني :

- ألا يروقك الطعام أم تندم على اصطحابي ؟

فقلت لها بادي الاهتمام :

- كنت أفكر في بضعة أمور يا "جلوريا" .. فإنني اشبه بذبابة مسكينة وقعت في نسيج عنكبوت لاتعرف اوله من آخره ولا تدري كيف التخلص من حبائله الدقيقة القوية فأجابتني والابتسامة مازالت تتألق على وجهها :

- انا لست عنكبوتاً يا "لوبين" ..

- بالتأكيد لأن العنكبوت قذر . ولكني اعني بالعنكبوت ذلك الذي غادر المنزل منذ أيام ونسي ما تركه في القاع المزيف بالدولاب الكبير في مخدع النوم .

ولما وضع الخادم القهوة أمامنا ثم انصرف وعدنا وحدنا قالت في هدوء :

- إذن فانت تعرف ! لابد أنك كنت على التليفون عندما اخبرني "نيد كازينو" بأن الأمر عاجل وانني يجب أن أخبره بالحقيقة لأبرر للبوليس غارتهم على الشقة وغزوهم لها وإيجاد مادة للصحف التي تصيد عادة في الماء العكر .

- هذا ماقاله لك يا "جلوريا" ولكنه يلتمس المبرر للقبض على "ليلان" واعوان "سافيلا" في الوقت المناسب يا "لوبين" .

- من فضل الله أن وصلوا في الوقت المناسب يا "لوبين" .

- ولكنك لم تخبريني كيف علمت بوجود القاع المزيف لذلك الدولاب ؟

وكنت اتوقع أن تتحاشى الرد او تروغ منه . غير انها اجابتني على التو :

- كان لدي مفتاحي الخاص للشقة فكنت ادخلها واخرج كما وعندما أحب . وهكذا انتهزت إفراط "جوزيه" في الشراب فعرفت منه السر . ثم عثرت عليه ورأيت بنفسي صناديق المسحوق وإن لم أدرما هي .

- ولكن "كازينو" عرف إنها تحوي هيروين . ؟

- لعله كان يتوقع شيئا من هذا القبيل ويبدو أنه كان يعول كثيرا

على معاونتك له .

فجفلت لهذه التهمة الخطا لانني إنما ذهبت إلى الشقة بسبب ما قاله "كازينو" عنها ، ولكني لم استطع ان اقول لها ذلك فسالتها:

- وكيف ذهب بك "مانويل" إلى نادي سيلفر ؟

- يبدو أن "كازينو" كان ثرثارا في اللحظات التي أمسك فيها بالتليفون . أليس كذلك يا "لوبين" ؟

فهززت كتفي وقلت :

- إن "كازينو" شديد الذكاء ويعرف دائما مايريده وكيف يحصل عليه ولكني ارى انك لم تحدثيني عن سيلفر .

- ليس ثمة حديث طويل ، فإنني عزمت على أن اذهب إلى شقة "جوزيه" في المساء التالي بعد ان غادرتك وطلبت إليك أن تتصل بي تليفونيا بعد يومين لانني اردت لنفسي سعة من الوقت لدراسة الأوراق التي عثرنا عليها في سيارتك وقد فحصتها جيداً في شلسي .

- إذن فهي في مكان آمن ؟ الم ينتزعها منك "مانويل" او "كازينو" ؟

- لقد أرسلتها إلى فندق كرافن في سيكومب بعنوان مس "هندرسون" .. أرسلتها مسجلة يا "لوبين" . وسنجدها في انتظارنا عند وصولنا . الم تكن فكرة صائبة ؟

- جدا .. جدا .. وتدل على فرط ذكائك يا أختاه !

- ومضيت إلى شقة "جوزيه" بعد ظهر اليوم الذي قابلتك فيه فوجدت "ليلان" و"ميكي" هناك في انتظاري . وكانت "ليلان" تريد أن تنشب أظفارها في وجهي ولكن "ميكي" منعها كانما لديه أوامر بذلك من رئيسه . وذهبنا إلى نادي سيلفر حيث تركت في حجرة مقفلة بالتاكيد حتى يتدبر "مانويل" مايجب عمله . وعرفت فور أن نظرت إليه انه شديد القلق ثم مالبث "نيد كازينو" أن جاء في الوقت الذي كان "مانويل" قد أرسل أعوانه الطغاة لينكلوا بك .

ورجع الخادم فمضينا ننتهي من تناول الطعام ثم غادرنا المطعم، وعادت "جلوريا" تتولى القيادة فجعلت افكر من جديد في هذه الالغاز التي تتنافر أجزاؤها ويصعب لم شعثها !

وران الصمت علينا إلى أن أوقفت "جلوريا" السيارة لتشتري آخر

طبعة من إحدى صحف لندن المسائية . وتصفحتها على عجل لأجد شيئين على جانب كبير من الأهمية ، أحدهما أن نادي سيلفر في سوهو تغير صاحبه إذ اشتراه "نيد كازينو" من صاحبه القديم - كائنا من كان - لان أحداً لايعرف اسمه ، والشيء الثاني كان بحروف كبيرة عن حوادث شقة ريبارك ثم الفقرة التالية في ذيل الخبر :

"ومن المفهوم أن رجلا اختفى من مستشفى بـ"لندن" في ساعات مبكرة من هذا الصباح والمعتقد انه مصاب بعدة إصابات في جسمه ووجهه، ويرغب رجال البوليس في استجوابه بشان الغارة التي شنوها على الشقة في ريبارك ولما كانت شخصية هذا الرجل غير معروفة إلى الآن فالبوليس يتوقع أن يقدم نفسه فور قراءة هذه الأخبار" .

وتلا ذلك ما قام به رجال الأمن من تحريات في مختلف مستشفيات لندن بلا جدوى !

وكنت قد قرأت كل مايهمني فالقيت الصحيفة جانبا وأنا واثق بان المفتش "دافيدسون" قد أطلق رجاله يبحثون عني في كل مكان وناولت "جلوريا" الصحيفة فقرأت ما شاءت ثم قالت في اقتضاب:

- لاشك أن صحيفة الصباح التالي ستحوي ما هو أهم وأروع!

وأملت أن تكون خاطئة فيما تتوقعه ولكني أحجمت عن قول ذلك . وعندما بلغنا الكيلو الحادي عشر تقريبا خارج سيكومب ، لحقت بنا سيارة غاية في الجدة والأناقة ثم مرت بنا فاسترعى نظري فيها انها ليست جديدة بالنسبة إليّ ! وألقيت عليها نظرة أخرى فدهشت إذ وجدتها نفس السيارة التي سقتها عبر لندن بعد زيارة "دوللي مايلاند" ! وكان يسوقها "نيد كازينو" متجهم الأسارير .

وانطلقت السيارة تنهب الأرض فلم أقل شيئا ولكني تطلعت إلى جلوريا لأجدها لم تتبين شخصية سائق تلك السيارة التي مالبثت أن اختفت في منعطف من الطريق ، فتنهدت تنهد الراحة والخلاص ... ولكن ما إن استدرنا حول ذلك المنعطف حتى كدنا نرتطم بتلك السيارة لولا أن اوقفت "جلوريا" سيارتنا على الفور وبعنف . وقبل أن تقف تماماً كان الباب من ناحية "جلوريا" يفتح وإذا بصوت "كازينو" يصيح بها :

- اخرجي !

وكان إلى جانبه رجل اقصر منه قليلا اسمر الوجه عرفت فيه "مانويل" وخلفهما وقف "فريد" و"ستيف" و"هانك برودسون" وجميعهم عابسو الوجوه !! ولما خطونا إلى الطريق قال "كازينو":

- حسناً يا "هانك"

فوثب الأمريكي إلى السيارة التي كانت تعترض الشارع الضيق فدار بها حتى تقدمت سيارة "جلوريا" . وشعرت بعيني "مانويل" تستقران على وجهي وكرهت ذلك كل الكراهية ، بينما استدارت "جلوريا" لتواجه "كازينو" وتقول:

- حسناً .. ماذا .. ؟

فنهرها صائحا :

- اصمتي فقد سببت متاعب لعينة لكل إنسان !

ثم التفت إلى الأمريكي يقول :

- حسناً يا "هانك" . ساترك هذه السيارة الأخرى بعض الوقت لتمضي إلى سيكومب في غير موكب .

إذن فهو ذاهب إلى سيكومب !! ونظرت إلى "جلوريا" التي كانت تحاول عبثاً أن تحل هذا اللغز .. ولكنها كانت مرفوعة الرأس بادية الكبرياء والاعتداد بنفسها .

وطلب إليها أن تركب في السيارة الأخرى وان اجلس انا خلف عجلة القيادة في سيارتها ومن خلفي "كازينو" و"سافيلا" يدخنان وإلى جانبي "هانك" . ومضينا من جديد في طريقنا إلى سيكومب . وأمرت أن اتبع السيارة الأمامية وان أقف عند اول حظيرة . وفجأة سألني "كازينو":

- ماذا قالت لك يا "لوبين" ؟

وكان صوته بارداً خالياً من كل امارات الصداقة والود فقلت له:

- إنني ارثي لشرائك ذلك المنتدى الليلي يا "نيد" ، فقد زاد الأحمال والأعباء التي تثقل ظهرك ودل تصرفك على انك لا ترى إلى ابعد من انفك !

فزمجر وقال :

- إن الدسم في النار

- دسم من ؟ ونار من ؟!

وارتفع صوت "سافيلا" يلعن بالإسبانية وقال "كازينو" ساخطا:

- اصغ إلي ! لقد اثارت هي الدنيا لرغبتها في عمل شيء من اجل أخيها فعرفت الكثير عني وعن الحقيبة التي تناولها "جوزيه" مني وأظنها اخبرتك بهذا كله بالتاكيد .

قلت : بالتاكيد

- هل قلت لك إن اللفتنانت "روبين ترنت" كان وغداً رخيصا ارسلني إلى ظهر السفينة لأخذ حقيبتي المليئة بطرود مختومة بالشمع الأحمر ثم استقل قطاراً وانتقل بعد ذلك في قارب إلى هارويش حيث اقابل رجلا بالذات واسلمه الحقيبة . وقد طلب إليّ أن افعل ذلك لان هذا كله كان بناء على رغبة قلم المخابرات الحربية دون أن يسمح لي بالتساؤل ومحاولة تفهم المقصود من وراء ذلك !!

وراح يسعل لحظة فقلت :

- بل هذه قصتك انت !

- ماذا تعني ؟

- اعني أن اللفتنانت "روبين ترنت" قد قتل عندما رست السفينة على الشاطئ .

فزمجر "سافيلا" وقال "كازينو" ساخراً :

- المفروض أن اللفتنانت "ترنت" قد قتل وان جثته لم يعثر عليها وانها اختفت من السفينة كما ان احداً لم يره على ظهر السفينة .. وتدل الظروف كلها على انه صعد إلى ظهرها فور أن اشعل فتيل القنبلة

قلت :

- وهل هي تعلم ذلك ؟

- إن لم تكن فستعلمه في الحال .

ورايتني اصيح فيهما متهكما :

- اراكما تتفقان بسهولة !

ولكن "كازينو" ابتسم وخاطبني قائلا :

- لا تكن أحمق يا "لوبين" ! إنني و"مانويل" نتبادل الكراهية ويود كل منا لو يقضي على الآخر ، ولكننا اتفقنا فقط على هدنة مسلحة إلى أن تنجلي الأمور وخاصة في عيون البوليس . وقد قابلت "دافيد سون" في ساعة مبكرة من صباح اليوم فأمطرني وابلا من أسئلته حتى لأعتقد أنه قد فحص جميع الملفات بقلم المخابرات البريطانية الحربي .

قلت : إذن فأنت لم تضع وقتك سدى !

ورأيت حظيرة السيارات عن كثب فتوقفت وهبط "كازينو" ليقابل صاحبها ثم عاد في أقل من ثلاث دقائق ليقول :

- سنترك السيارة هنا .. تعالوا

فمضينا نستقل سيارة أخرى عند باب الحظيرة ، وربت "كازينو" على كتفي ثم قال .

- خذ مفتاح السيارة واحتفظ به .

وسألته : ماذا أفعل به ؟

فأجابني : لاتلق أسئلة حمقاء يا "لوبين" .

وبلغنا باب السيارة الأخرى ودخلناها ، ثم تولى "هانك برودسون" القيادة إلى أن اقتربنا من مدخل فندق كرافن .. وأنا شخصيا أجد سيكومب شبه ميتة في نظر رجل مثلي عاش في المدن .. ولكنني اغتبطت بانها لم تكن تعج بالناس لأنني كنت أحس بأن الأشياء من التعقيد بحيث لا يجب لفت أنظار الناس إليها . وخرجت "جلوريا" من السيارة الأخرى أولا ومضت إلى الفندق ، ثم خرج "كازينو" و "سافيلا" يحملان الحقائب التي كنا قد جئنا بها من السيارة التي غادرناها في الحظيرة ... وسألني "كازينو" :

- أي اسم سجلته هي في الفندق ؟

فأجبته :

- هندرسون واخته .. أرجوك أن تتركني معها نصف ساعة حتى أهيئها حتى للمقابلة وأروضها على المصارحة .. وبعد نصف ساعة تدخل أنت و "سافيلا" وتسمعان ما تقوله .. مارأيك؟ - حسنا .. أمامك نصف ساعة .. على ألا تحاول شيئا يكلفك غاليا يا "لوبين" ..

حاذر أن تكون أدهى من اللازم ، بل اترك الأمور تتخذ طريقها فذلك خير لك ولنا ثم استدار و "سافيلا" يوليانني ظهريهما عائدين إلى السيارة التي انتقل بها "برودسون" بعيداً ، فمضيت إلى الفندق بالحقائب التي بيدي لأجد "جلوريا" جالسة على مقعد في مكتب الاستقبال وقد شحبت أساريرها وتبدى في عينيها ما جعلني أتلهف على احتضانها والتأكيد لها أنني سأبقى معها ولكني قلت لها إنه يحسن أن نسجل اسمينا الحقيقيين .

فتطلعت إلي وقد احتشدت في عينيها عشرات الأسئلة التي أفقدتها إشراقها وقالت :

- أشعر كأنني مريضة ، وأود أن أستلقي في حجرتي ربع ساعة على الأقل .

- فقط ربع ساعة لا أكثر لأن الآخرين سيعودان بعد نصف ساعة ورأساهما ممتلئان بالكثير ، ويجب أن أتحدث إليك قليلا قبل رجوعهما .

فأومأت برأسها وقالت :

- حسنا يا "لوبين" .. تعال إلى حجرتي بعد عشرين دقيقة .. أوه .. إن رأسي يكاد ينفجر بالصداع !

- ولكن عشر دقائق لا تكفينا للتحدث .

- ربما لا نحتاج إلى أكثر من ذلك .

وغادرتني لأمضي إلى المكتب حيث جلس رجل أصلع حالك اللحية يضع منظاراً داكنا على عينيه وينحني على سجل يقيد فيه بعض الأرقام ، فلما سمع وقع قدمي رفع رأسه وخاطبني باسما :

- آه ! مستر "هندرسون" ؟ لقد أخبرتني أختك أنك قادم وراءها على التو .. إن اسمي "روجز" وسوف أريك حجرتك ، ولكني أخشى ألا تستطيع تقدم كل مايجب من طعام وشراب في هذه الأيام العصيبة كما تعلم .

فأومأت برأسي ، وتقدم يحمل إحدى الحقيبتين ، فرثيت للرجل يقوم بعملين متناقضين :

كاتباً وحمالا . وأدركت أن الموسم في سيكومب غير طيب .. وكانت

غرفتي تطل على فناء قديم جعلوه عدة حظائر للسيارات بينما كانت غرفة "جلوريا" في نهاية الدهليز .

وجلست ادخن وانا اتطلع بين الفينة والاخرى إلى ساعتي والعن الدقائق الزاحفة في بطء ، ومضيت اقلب في خاطري ما ساقوله لها ولكني تذكرت آخر كلماتها لي :

- ربما لن تحتاج إلى أكثر من الدقائق العشر .

فشعرت بانها تحمل معنى كاسفاً مشؤوما لم اتبينه اول ما سمعت تلك الكلمات . ونفد صبري قبل انتهاء الموعد فمضيت إلى نهاية الدهليز وادرت أكرة الباب ولكن الباب لم ينفتح لانه كان مغلقاً من الداخل بالمزلاج واضطررت إلى طرق الباب والصياح :

- "جلوريا" !

فسمعت من الجانب الآخر ما خلته انة او شهقة على الأكثر !!

الفصل الحادي عشر

لم اتردد بل تراجعت خطوة ثم دفعت الباب بكتفي وبكل قوتي ، ولكنني مالبثت ان تبينت صعوبة هذه المحاولة مادام الباب مغلقاً بالمزلاج الحديدي من الداخل .

وبرحت بكتفي الآلام وشعرت بشبه دوار لانني كنت لاازال اعاني الضعف ولا اقوى على بذل اي مجهود عنيف بجسمي المليء بالرضوض والكدمات .

وكدت أياس لولا ان عدت ففكرت في ان مزلاج الفنادق ليس مما يستعصي على رجل ذي عزيمة وإصرار ، فعدت إلى الباب ادفعه بيدي حتى تمكنت من لخلخة المزلاج هوناً ما .. وتراجعت الوك لساني من الحنق ثم استعملت الكتف الأخرى ونجحت في مسعاي .

وأسرعت إلى الحجرة لأجد بابها مفتوحاً على مصراعيه ، ورأيت منضدة صغيرة تعلوها حقيبة يد "جلوريا" ، وظرفاً عليه بعض سطور بقلم من الرصاص ، بينما كانت قبعتها على الأرض بجانب معطفها كانما القيا عمداً ! وشاهدت حقيبتها الكبيرة مفتوحة وقد اطل منها ثوب حريري تدلى نصفه على الأرض كانما فوجئت "جلوريا" عندما اخذت تخرج هذا الثوب بما جعلها تترك الحقيبة على الفور .

وبادرت عيناي إلى الفراش فوجدت "جلوريا" فوقه وقد تدلت إحدى ساقيها على جانب منه وانطوت تحت ركبتها .. وكانت تشهق في صوت مختنق بينما كان الرجل الملتحي يحاول خنقها!! وكالدوامة انقضضت على الرجل احفر باصابعي في عينيه إذ كان واجباً علي أن أعمد إلى طريقة يائسة لانقذ المرأة من الموت ، ولان العراك الطويل كان فوق ماتحتمله قواي الواهنة إذ ذاك .. وسرعان ما غادرت يدا القاتل رقبة "جلوريا" واستدار إليّ يكشر عن انيابه الناصعة فامسكت بلحيته صائحاً :

- أيها الخنزير ! أيها الخنزير !

وأسرع يلكمني بكل قوته في بطني حتى خلتني سافرغ كل ما في

جوفي على رأسه وتراجعت نحو الباب المفتوح لاستجمع قوتي فانقض علي . وكنت أبكي من التعب والآلام وأخذت الحجرة تسبح أمام عيني ، ولكنني عندما أصبح على مقربة مني قست المسافة بينه وبيني جيداً ورفعت قدمي اليسرى وأهويت بها على وجهه .. وأفلحت الضربة والمناورة فتراجع الرجل يزمجر بالآلم ويمسح الدم المنبثق وجهه . ولكنه لم يفقد توازنه وعاد يرفع رأسه ويتقدم نحوي صائحاً :

- سأتم ما بداه غيري ..

ووثبت جانباً اتحاشاه ولكنه امسك بي وتعثرت قدمي برجل المنضدة الصغيرة واندفع خلفي بقوته فارتطم بالمنضدة التي تدحرجت بجانبي . ويبدو أن سقطته كانت عنيفة وعلى غرة لانه ضج بالآلم .. وقبل أن ينهض من كبوته كنت واقفاً علي قدمي أحمل مقعداً وأهوي به على رأس الوغد الذي استكان واحتضن الأرض صاخبا لاعنا .. وإذ أخذت استرد أنفاسي تذكرت أن المسدس الذي كانت "جلوريا" قد هددتني به لابد أن يكون في حقيبة يدها ، فانحنيت افتحها وامسك بالمسدس .. ولكن الوغد انتهز هذه الفرصة فقام وانقض علي وامسك بذراعي القابضة على المسدس. وتصببت عرقا بالآلم وأنا أناضل ثم تطلعت لأصابع يمناي لأجدها لفرط ما تخدرت قد أفلتت المسدس وانني امسك الهواء..

واشتد رعبي عندما رأيته ينقض على المسدس ليلتقطه عن الأرض فاندفعت اركبه وأحاول أن اشل حركته بثقلي فاكتفى بان ينفض رأسه يميناً ويساراً كما يفعل الكلب ثم وثب واقفاً على قدميه والمسدس في يمينه ! وصاح يبصق الكلما كانما يلفظ أسناناً محطمة من فمه :

- الآن سأتم مهمتي !

ورمقت "جلوريا" وقد ظلت في رقدتها مغشياً عليها لا تعلم شيئاً عما يحدث قيد خطوات منها . واستبد بي الخوف من أن تكون قد ماتت وعصف بي الحنق فارتميت على الرجل غير عابئ بمسدسه وأخذ بهذه المفاجأة المتهورة ولكنه سدد لكمة إلى ذقني جعلتني أترنح وأسقط على الأرض فبادر يضع قدمه على مرفقي ويدهسه بقوة حتى خلته يريد كسره وتحطيمه ! واستكنت لحظة ثم وثبت على قدمي

وجريت خارجاً بدافع غريزي عجيب . وجرى الرجل خلفي لاعناً ساخطاً . ولعلي أردت أن أبعده عن "جلوريا" التي كان كل همه إخماد انفاسها ، وبي مسكة من الأمل في ألا تكون قد ماتت بعد . وانحدرت على الدرج وهو يهبط خلفي . وجريت إلى الباب الأمامي لأجده مغلقاً بالمزلاج وبالمفتاح من الداخل فأدركت انني و "جلوريا" سجينان في الفندق .

وفي تلك اللحظة أدركت أي فخ نصب لنا وها هو الفندق لا يحوي غيرنا وهذا القاتل الممسك بمسدس "جلوريا" .

وتحركت عندما سمعته يهبط الدرج .. ووثبت جانباً إلى المشرب وهناك سلحت نفسي بزجاجتين من الشراب .. حتى إذا اقترب من الباب ألقيت عليه الأولى وكادت تصيب رأسه ولكنه تفاداها فتحطمت على الباب وانسكب ما فيها على ملابسي . وأصابت الأخرى الباب وأنا أصيح : المعونة ! المعونة !

لعلي استلفت الأسماع لتخف للنجدة . وبادرت ألقي زجاجتين أخريين خلال النافذة للغرض نفسه فصاح بي :

- سأقتلك لو فعلت !

وتقدم نحوي في بطء ومسدسه مسدد إليّ . وأدركت أنه يخشى أن يطلق الرصاص فيسمع دويه في الخارج . وتراجعت ممسكا ببعض الزجاجات إلى نهاية المشرب . وتركني أبلغ باباً هناك دون أن يطلق مسدسه علي فوثبت خلف الباب وصفقته في الحال ورائي لأجدني في ممر مظلم ، ورأيت فيه باباً آخر فجريت منه وقلبي يكاد ينفجر في صدري .

وكان بجانب ذلك الباب مباشرة درج آخر فمضيت أرقاه غائصاً في التفكير إلى أن بلغت بسطة صغيرة بها بابان عالجت أحدهما ففتح وتسللت منه إلى حجرة للنوم . وكان همي منصرفاً إلى نافذة في ذلك المخدع فبادرت أطل منها على فناء مليء بالحظائر مهجور ولكن سقفه كان على قيد أقدام قليلة مني فتساءلت هل أستطيع أن أبلغه ؟ وسمعت الرجل قادماً خلفي فوثبت من النافذة ...

وإذ ذاك أطل رأس الرجل وكتفاه ثم سدد نحوي مسدسه آمرا :

- ارجع !

ورأيت الموت يتهددني وعاد يصيح بي :

- ارجع وإلا أطلقت عليك النار وسرعان ما سمعت وقع أقدام في الفناء فاستدرت لأرى "نيد كازينو" و "مانويل سافيلا" و"هانك برودسون" الذي صاح وأسرع يجري نحوي وعندما سمعت صيحته :

- انحرف يا "لوبين" !

دوي الطلق الناري بجانب رأسي وفقدت توازني للمفاجأة فهويت على حافة السطح وتلقفني الأمريكي ليضعف من قوة ارتطامي بالأرض ما استطاع .

وأفقت من غشيتي على يد "كازينو" تربت على وجهي فتطلعت إليه ذاهلا ، ثم إلى الفناء الذي اتمدد فيه وقلت :

- أين الزجاجتان ؟

ثم وثبت على قدمي أصيح كالمجنون :

- "جلوريا" ! "جلوريا" ! إنه كان يخنقها فيجب أن نمنعه من العودة إلى محاولته فتاملني "كازينو" مشدوها ثم سألني :

- ألا تتذكر موعدنا يا "لوبين" ؟ لقد جئنا حسب الاتفاق ، فلما وجدنا الباب الأمامي مغلقا بالمفتاح والمزلاج درنا من الخلف . ماذا حدث ؟

فصحت به حانقا :

- لا وقت الآن لتمطرني بأسئلتك فإن ذلك المجنون يريد قتل "جلوريا" وقد فاجأته في غرفتها قبل أن ينفذ جريمته . ولما أمسكت بمسدسها خطفه مني .

وعدت مبهور الأنفاس أصيح :

- اجروا وراءه بالله عليكم !

واقتنعوا أخيرا وبادروا يعملون فحطم "برودسون" نافذة خلفية بالطابق الأرضي ودخلنا نجري وقد التصق بي "كازينو" كأنما يهمه أن يرقبني ويرعاني كأخ له !! وصعدنا إلى الحجرة التي تركت فيها

"جلوريا" لنجدها جالسة على فراشها ممسكة رأسها بيديها وأسرعت إليها والباقون يرمقونني ، ثم ركعت أمامها أمسك يديها وأقول :

- كيف حالك يا "جلوريا" ؟؟ هل نالك الوغد بأذى ؟

فتلفتت حواليها ، ثم تفرستني قليلا وغمغمت قائلة :

- أنا بخير يا "لوبين" .. لايهم .. لايهم !

صحت :

- كيف لايهم ؟ لقد كان يخنقك لولا أن دخلت في الوقت المناسب ... وكاد يغلبني .. ولما أخذت مسدسك من حقيبتك استطاع أن ينتزعه من يدي الضعيفتين فجريت بعيدا عن هنا .. بعيدا عنك ..

فتطلعت إلي في حنان ثم قالت :

- مسكين يا "لوبين" !

ثم تناولت وجهي بين يديها الباردتين وراحت تتاملني طويلا قبل أن تقبل فمي في حرارة .. ولكنها مالبثت أن تركتني بادية الحياء والقلق ثم قالت تسأل "كازينو" :

- ألم تره ؟

فحملق إليها قليلاً كأنما سددت ضربة إلى وجهه ثم تمتم قائلا :

- رأيت رجلاً ملتحياً في النافذة ثم اختفى فصحت :

- واسمه "روجز" .. لماذا تضحك ؟ هكذا قرأت اسمه على لوحة فوق رأسه ! إنه مجنون بلاشك ولكني لا أدري لماذا ...

فقاطعتني "جلوريا" وهي تضع يدها على ذراعي :

- أصغ إلي يا "لوبين" . إن الاسم الذي قرأته اسمه ليس الحقيقي لأنه يدعي "روبين ترنت" !

فذهلت أيما ذهول ثم عدت فتذكرت كلمات "كازينو" عن "ترنت" وأنه وغد وأنه اختفى من السفينة وسرعان ما قلت مشدوهاً :

- وهل يسعى أخوك لأن يقتلك يا "جلوريا" ؟

وخطا نحوها "سافيلا" متجهم القسمات شديد الحنق وقد استحالت نظراته إلى جمرات من النار ، وعجب أن تحمل أساريره كل ذلك الحقد البادي عليها ، ولكنه قال في صوت هادئ :

- لقد أخذ الأكليشيهات من "جوزيه" واختفى . لقد خدعه ..

www.liilas.com vb3 ARAB HEENA

وخدعني .. وخدع "نيد كازيون" . نعم خدع كل إنسان !! وقد قتل "فيليب فاريل" ، وهو المسؤول عن إثارة "جوزيه" إلى الحد الذي جعله يقتل "ماري فاريل" ليمنع ...

ثم توقف عندما شاهد الخطاب المسجل المفتوح وقد أصبح موضوعاً على الفراش فالتقطه وأخرج منه بعض الأوراق ثم تطلع إلى "جلوريا" يسألها :

- آه .. أهذه أوراق الكابتن "فاريل" ؟

فأومأت برأسها وعاد يقول ساخراً :

- أنت تأتين هنا للتحري أيها الذكية وترسلين الأوراق إلى هذا العنوان ولكنك لا تعرفين من هو "روجرز" إلى أن قدمت !!

فنهضت "جلوريا" ومشت إلى النافذة ورأينا كتفيها تهتزان فقال لها "كازينو" مترفقا :

- هوني عليك يا "جلوريا" فسنمضي في أثره ولن يستطيع المضي بعيداً قبل أن نلحق به فاستدارت دامعة العينين تصيح :

- ألا ترى ؟ ألا تدرك أن هذا مالا أريده يا "نيد"؟! هذا مالا أطيق التفكير فيه ، لا أريد أن يقبض عليه ويحاكم و ...

فسألها "سافيلا" وهو ثائر حانق :

- لم لا ؟ إن "جوزيه" حوكم على جريمة قتل وأخوك المسؤول ! لقد قامر وفقد نقوده في أثناء الحرب عندما كان يقضي إجازاته ثم لم يقو على الدفع . لقد أخذ طعامنا وشرابنا ووثقنا به ثم غرر بنا وادعى أنه في قلم المخابرات السرية وأنه يعرف أشياء كثيرة ولما أصغينا إليه وخطر لأخي أن يستغل ذلك وخاصة عندما حدثه أخوك عن الأكليشيهات وإمكان إخفائها وطبع العدد الذي نريده من الأوراق المزيفة ! وقد راقتني الفكرة وشجعت "جوزيه" عليها ولكن أخاك خدعه، فقد كان المتفق عليه أن يحصل "جوزيه" على حقيبة من "نيد كازينو" ثم ينتظر ليعطي الحقيبة وبداخلها الأكليشيهات إلى رجل يضع في إصبعه خاتماً أعطاه أخي "جوزيه" لأخيك الماكر . وانتظر ثلاثة أو أربعة أشهر أو ستة في الغالب فإذا برجل ملتح يأتي وفي إصبعه ذلك الخاتم الذي لم يكن سوى خاتم والدة "جوزيه" فكان أن أعطاه "جوزيه"

الحقيبة كأمر أخيك وقال له الرجل إنه سيتصل به تليفونيا ليحدثه عما يتم في أمر الطبع .. ولكن كان ذلك آخر عهد "جوزيه" به وبالموضوع إلى أن جئت والكابتن "فاريل" لتكتشفا الحقيقة .

وسكت "سافيلا" بادي الإعياء ثم أخرج منديلا جفف به عرقه واستطرد يقول :

- والآن يظهر الرجل الملتحي ونعرف أنه أخوك ولكنني سوف أقتله كما سيقتل أخي وهذا دين سيظل في عنقي لـ"جوزيه" ويجب أن أؤديه قبل أن يموت أخي !

وجلست على حافة الفراش وجلست "جلوريا" بجانبي وقال "كازينو":

- يجب قبل أن نتصيده يا "جلوريا" أن تحدثينا عما فعله لمادخل عليك هنا ؟

فأحسست بها إلى جانبي ترتعد ثم قالت بصوت يختلج :

- دخل وأغلق خلفه الباب بالمزلاج .. وكنت مستلقية على الفراش مصدعة الرأس راغبة في التفكير قبل أن يدخل "لوبين" ويلح علي في الإفضاء إليه بكل ما أعلمه تبديداً للشكوك التي تكتنفني ، فلما دخل ظننته "لوبين" النافد الصبر ، ثم سمعت الرجل يحدثني في صوت هادئ عادي :

- كان يجب يا "جلوريا" أن تخرجي من حياتي .. أنت و"فيليب".

فلما رفعت رأسي ورأيت لحيته ونظارته السوداء وثبت صائحة:

- "روبين" ! أخي ؟

وخطفت النظارة عن وجهه فعاد يحدثني وعيناه تلتهبان بالحقد والكراهية :

- نعم . كان يجب أن تظلا بعيدين عن حياتي أنت و"فيليب" كلاكما.. كان يجب أن تتركاني وحدي وإلا تتدخلا وتهتما بأشياء لاتهمكما .

وكان يتحدث كمن يتلو شيئا حفظه عن ظهر قلب ! وخيل إليّ أنه ليس أخي وإنما شخص غريب تقطر كلماته بالكره والعداء ويود لو يلحق بي الأذى ! وأدركت لتوي أنني في خطر كبير . وتقدم نحوي ووضع يديه حول عنقي ثم راح يضغط ويضغط ..

وأذهلتني المفاجأة وناضلته وحاولت أن أصرخ ، فوضع يده على وجهي فلما عضضتها لطمني بقوة ثم شد يديه على عنقي من جديد ! وحاولت مرة أخرى أن أصرخ فألقاني على الفراش وراح يضغط ويضغط إلى أن غصت في سحابة من الإغماء .. أو الكابوس

وعندما أفقت وجدت هذه المنضدة محطمة والباب مفتوحا ، والغرفة خالية وقد تلطخ بساطها ببعض لطخ من الدم ، ومن عجب أنه كان يتمتم بعبارات محمومة

فسألها "كازينو" :

- ألا تذكرين بعض هذه الكلمات ؟

- نعم .. بعضها .. نتفاً منها .. أذكر أنه كان يضحك وهو يقول إن خطي وأنا فتاة لم يتغير وبذلك عرف أن الخطاب المسجل باسم مس "هندرسون" مكتوب بخطي وأنني مرسلته ، فأخذ حذره واعتزم تدبير خطته ، وبدا بأن أغلق الفندق ولم يطلب له طعاما أو شرابا بالتأكيد

- هيا نبحث عنه

فصرخت مولولة : كلا .. كلا يا "نيد" !

ولكن "كازينو" كان قد بارح الغرفة ، فمضينا نتبعه تاركين "جلوريا" وحدها مع الأوراق التي كان "سافيلا" قد انتزعها من الظرف ثم أعادها إليها .. وقضينا نصف ساعة ننقب في أرجاء الفندق ، ولم نترك طابقا أو حجرة دون بحث دقيق ولكن بلاجدوى!

وكان "كازينو" و "سافيلا" يبحثان بحث خبيرين دون أن يهتديا إلى الرجل رغم أن جميع الأبواب كانت مغلقة وخلفها المزاليج من الداخل ، كما كانت النوافذ على حالها دون أي أثر يدل على محاولة الرجل حتى الاقتراب منها أو معالجة فتحها ! وأخيرا زأم الأمريكي :

- إنه ليس ساحرا ولايمكن أن يتبخر أو يستحيل إلى هواء !

وهكذا عدنا ننقب وننبش من جديد .. ومضيت إلى المطبخ القديم لأتناول جرعة من الماء ، وبينما وقفت أمام الصنبور لاحظت أحد الأبواب في قاع خزانة أدوات المائدة (الدرسوار) مفتوحا وعلى حافته بقعة من الدم ، فبادرت أفتح أبواب ذلك الدرسوار لأجد فراغا يكفي لأن ينحشر فيه رجل.. وتحسست المشمع الذي يغطي القاع ثم انتزعته

لأجد ترباساً لباب خفي ، فبادرت أخرج من المطبخ وأنادي الآخرين .. وقدموا يعدون ، فقلت :

- عرفت أين ذهب .. إن تحت هذا المطبخ كيلارا بابه تحت هذا الدرسوار

وكان الجهد قد نال مني ، وشعر الأمريكي بأنني أكاد أسقط إعياء ، فلف ذراعه حولي حتى أسترد بعض قوتي الواهنة .. أما "سافيلا" فأسرع إلى الباب الخفي بالخزانة ثم فتحه عن فجوة شديدة الظلام ، ولكنه تدلى منها وراح يدور بقدمه فيها كأنما يحرك محتويات إناء كبير ، إلى أن عثرت قدمه بدرج فمضى يهبطه .. واختفى رأسه وكتفاه فأخذ "كازينو" يتبعه ، وأضاء نور من الفجوة فأدركت أن "سافيلا" وجد زراً كهربياً للكيلار ، وسمعته يصيح فقلت للأمريكي :

- أنا الآن بخير .. دعني أذهب

ولكنه لم يتركني حتى الححت عليه ، وما لبثت أن تبعتهم إلى الفجوة وهبطت الدرج أشبه بمن يمشي على حبل لأول مرة ! ووجدتني في كيلار كبير أبيض الجدران ، وأدهشني أن رأيت مطبعة يضيئها مصباح مظلل ! وكان "كازينو" يفحص شيئا أخذه من المطبعة ، ثم قال:

- هذا جواب أشياء كثيرة .. لقد قام بطبع الأوراق المالية

ثم مضى يوجه حديثه إليّ :

- إن "جوزيه" و"مانويل" "سافيلا" قد خدعهما هذا الوغد الذي استغلهما لمصلحته لقد كان "روبين ترنت" يطبع الأوراق المالية المزيفة هنا في هدوء وربما بنجاح فسألته :

- وماذا كانت حاجته "بجوزيه ومانويل" ؟ لماذا كانا ضروريين له؟

فأعاد الأكليشيه إلى مكانه ثم قال :

- كان "ترنت" في أيديهما بسبب ديون في المقامرة لم يستطع سدادها .. ديون ارتبط بها عندما كان يقضي إجازته في أنديتهما الليلية ، فأراد أن يمنيهما بما سيعود عليهما بأكبر فائدة ثم أشركهما في المخاطرة ، ورأى بعد ذلك أن يظفر وحده بالغنم .

وأعد خطته للاختفاء نهائيا

وقدم الأمريكي يتلفت حوله واستطرد "كازينو" يحدثني :

- وهكذا دبر الحصول على الأكليشيهات التي نما إليه خبرها وجعلني كبش الفداء فحملت الأكليشيهات ووضعتها في يدي "جوزيه" معتقداً أنني أتعامل مع أحد رجال المخابرات السرية الذي كان في انتظاري .. ثم أغرق السفينة واختفى كأنما لقي فيها حتفه .. وفوجئت بأن "مايلاند" (مراسلة) "فيليب فاريل" يبحث ويتحرى عني . ولكني استطعت أن أتحدث إلى "برت مايلاند" وفهم كل منا الآخر جيدا .

فقلت حائرا

- إنك تخلط كثيرا يا "نيد" ! يوما تقول "برت" .. ويوماً آخر تقول الرجل الذي أرسل "برت" إلى المستشفى !! ولكن استمر .. لماذا جئت إلى سيكومب ؟

- حقا ما كان يجب .. ولكن قل لي يا "لوبين" : لو أنك سئلت أن تذكر اسم مكان يمكن أن يوجد فيه "ترنت" المختفي أو الضائع فاي مكان تذكر ؟

- سيكومب .. ولكن أين هو ؟

- ربما استطاع "مانويل" أن يجيبك فلنسأله .

وسرنا إلى حيث وقف "سافيلا" وهناك كانت بجانب الجدار حقيبة مفتوحة وفوقها قطعة من مراة . وفي الحقيبة تناثرت بعض الملابس التي كان يرتديها الرجل الملتحي .. ورأينا مقصا على منضدة بجانب الحقيبة . فلما التقطته وجدت بين نصليه شعيرات سوداء كما وجدت (أنبوبة كريم) حلاقة وموسى فوق نصلها بقع من الدم ..

والتقطت من الأرض قصاصة من صحيفة تعلوها رغاوي صابون ملطخة كذلك بالدم فأدركت أن الرجل جرح نفسه وهو يحلق بسرعة . وكان "برودسون" ينبش في الحقيبة فصاح : انظروا !

ورأينا ملابس أخرى وشعرا مستعارا ونظارة وأنابيب ألوان مما يستعمله الفنانون وعاد الأمريكي يصيح : هذا هو الطريق الذي ذهب منه .

وأشار إلى غطاء المجاري ذي المفصلات .. ورفعنا الغطاء لنجد سلما من الحديد ونتبين أن محتويات الخزان قد كسحت حديثا ..

الفصل الثاني عشر

صاح "كازينو" :

- إذن فقد خرج من الفندق وهرب . لا ندري إلى أين كما لاندري أي هيئة قد اتخذها ولا من أين نبدأ البحث عنه .

فانتفض "برودسون" وقال :

- مالك تتحدث هكذا كأنك من رجال البوليس السري ؟ إنني رجل خرافي كما قد تظنون ولا أحب حتى أن أقوم بدور رجل البوليس .

فقال "كازينو" !

- الحق أنني لا أفهم ما ترمي إليه يا "هانك" ولا أحب هذه الألغاز .

- يخيل إليّ أن "روبين ترنت" لايحب كذلك ان يتدخل رجال البوليس في أمره ولذلك كان متأهبا للهرب والإفلات .. ولهذا اشتد رعبه عندما وصلت "جلوريا" و"لوبين" وقد أراد أن يتخلص منهما على طريقته . وبحيث لايضطر إلى مغادرة الفندق وشخصيته المزيفة وحياته الهنية الآمنة . ولكن "لوبين" مل انتظار "جلوريا" فكان ما كان ..

فهز "كازينو" راسه وقال : المهم أنه هرب فهل لدى أحدكم راي ما ؟

فقلت : لا أعتقد أن "ترنت" يحاول الهرب ومعه حقيبة .

وهنا قال "سافيلا" نافد الصبر : ومن أين جاءك أن الرجل يحمل حقيبة ؟

- مجرد اعتقادي بانه يحمل معه الأوراق المالية المزيفة . لانه لا يمكن أن يتركها هنا بحال .

- ولماذا ترك الأكليشيهات ؟

- لأنه لم يجد داعيا لذلك مادام أن البوليس سيدهم المكان ويعثر على المطبعة . واغلب الظن أن الرجل رحل مطمئناً إلى أن البوليس سيعتقد أن المجرم يدعى "روجز" ، ومعتزما أن يرجع بعد ذلك وقد استعاد شخصية "روبين ترنت" .

وعاد "سافيلا" يسالني حائراً : وماذا يحملك على الظن بانه لن يحاول الهرب ؟

فاجبته : إن الرجل يعتقد اننا سوف نستدعي رجال البوليس في الحال وانهم سيقومون على الفور بتحرياتهم وانهم سيراقبون على الفور كل من يغادرون سيكومب .. ولهذا فهو لن يهرب وإنما سيأتي .. أي سيصل إلى هنا

فحملقوا جميعهم إليّ غير فاهمين وغمغم "كازينو" مشدوهاً :

- سيأتي ! سيصل ! ماذا تعني يا "لوبين" ؟

- أعني انه خرج من هنا مرتدياً حلة جديدة ومغطياً رأسه بشعر مستعار وحاملا حقيبة مليئة بالأوراق المزيفة ، وهو يخشى أن تكون الرقابة مفروضة على المسافرين من سيكومب ، ولذلك فسوف يتظاهر بانه مسافر وصل إلى سيكومب ، وأظنكم معي في أن البوليس سيجعل كل همه مراقبة الذاهبين وانه لن يقترب من القادمين . أفهمتني يا "كازينو" !

فاومأ برأسه ثم قال : إذن سيكون بحثنا وتنقيبنا في المحطة حيث نجده قد تسلل بين القادمين .

- هذا ما أراه لأن رجلاً مثله يخاطر بحياته وبشخصيته لشديد الدهاء .

وتقدم "سافيلا" قائلا : إذن هيا بنا إلى المحطة .

وتطلع "كازينو" إلي فقلت : انتظروا ! ماذا عن "جلوريا" ؟ لن نتركها وحدها هنا فقد يعود الرجل ويجب أن يبقى أحدنا معها .

- سيتولى : هانك" الانتقال بـ"جلوريا" والحقائب إلى "ستيف" لتنتظر معه في السيارة بعيداً عن مواطن الأذى . أما أنا وأنت فسنبقى هنا مع "سافيلا" إلى أن يعود إلينا "هانك" فنمضي إلى المحطة ثم إلى أقرب فندق .

ثم التفت إلى الأمريكي بنظرات زاخرة بالمعاني وقال له :

أمامنا نصف ساعة وأسرعت إلى المطبخ أغسل وجهي . ورأتني "جلوريا" و"هانك" قبل مغادرتهما الفندق فابتسمت الشقراء في وجهي وقالت : احتط لنفسك جيداً يا "لوبين" .

وتركت "جلوريا" تمضي مع الرجل الدائم الابتسام والمرح مهما تعقدت الأمور ، ولحقت بـ"كازينو" و "سافيلا" فوجدت الأخير يكاد

يتميز من القلق ويحترق بنفاد الصبر وقد أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا كدب وقع في فجوة عميقة ! وكان دميم الوجه بذلك الضيق والتبرم حتى لقد تساءلت متى ينهي "كازينو" هذه الهدنة الصغيرة مع ذلك الوغد .... !

ورجع "هانك برودسون" فصاح به "سافيلا" حانقا : ما هذا التأخير ؟

ولكن الأمريكي لم يحفل به ولم يعن حتى بأن يلقي عليه نظرة واحدة . وغادرنا الفندق من باب المطبخ ومالبثنا بعد عشر دقائق أن كنا في المحطة حيث قام "كازينو" بتحريات علمنا منها أن قطاراً من لندن وصل منذ عشر دقائق فقط ، وقال "كازينو" إذ ذاك :

- انتظروا ... لدي فكرة ..

ومضى عبر فناء المحطة ثم تحدث إلى شيال بعد أن نقحه حلوانا . وعاد إلينا يقول :

- توجد ثلاثة فنادق : جراند وكرافن وتشائل هايتس فلنجرب فندق جراند أولا واستقللنا (تاكسي) إلى ذلك الفندق فوجدنا في ردهته الخارجية كهلين وبعض شبان يثرثرون .. وذهب "كازينو" إلى غرفة الاستقبال ثم رجع بعد لحظات يقول :

- هيا نبحث في تشائل هايتس بلا تأخير .. إنه قريب من هنا فلنذهب سيراً على الأقدام ..

وخرجنا إلى الشارع متجهين إلى ذلك الفندق وفي ردهته وجدنا ستة جالسين يشربون في (المشرب) وقد وضع أحدهم نظارة على عينيه وارتدى ثوبا حالكا ووضع حقيبة كبيرة عند قدميه.. وكان شعره وشاربه رماديين ولكنه كان الوحيد الذي يصطحب معه حقيبة .. وتطلع "نيد" إلى ساعته ثم سأل "برودسون" في اقتضاب : "ستيف" ؟

فاومأ الأمريكي برأسه وقال :

- إنه طلب إلى "فريد" أن يبقى في (كشك) للتليفون معي رقمه فهل أحدثه ؟

ولما أومأ "كازينو" برأسه مضى "برودسون" نحو كشك للتليفون في نهاية الردهة بينما زام "سافيلا" قائلا : ما هذه المكالمة التليفونية ؟

فاجابه "كازينو" : مجرد حيطة لا أكثر وستعلم كل شيء فيما بعد

- أوه إنني لا أحب كل هذه الأساليب الملتوية والإحجام عن المخاطرة

وبدا على "كازينو" الغضب ولكنه كظم غيظه وحنقه ثم قال وهو يتجه نحو المشرب :

- تعالوا نشرب قليلا

واعتلينا المقاعد التي أمر لنا بها حول (المشرب) وحاولت أن ابتعد بعيني ما استطعت عن الرجل ذي النظارة والحقيبة لأنني لم ار فيه ما يدل على انه نفس الرجل الذي اشتبكت معه في المعركة من أجل "جلوريا" وحياتها الغالية عندي .. وهو بدوره لم يستدر ليتطلع إلينا بل ظل منهمكا في شرابه وصحيفة مسائية وعاد "برودسون" الأمريكي ليحشر نفسه بيني وبين "كازينو" ويقول له:

- يقول "فريد" إن "هاري" أوقف سيارته في الوقت المناسب وأنه واثق بوجود سيارة للبوليس خارج موقف السيارات وسوف يعود "فريد" فيتصل بـ"هاري" لاسلكيا ويطلب إليه موافاتنا هنا مباشرة ليقوم بالتغطية اللازمة في مدى أربع دقائق من الحادث المنتظر فأومأ "كازينو" براسه وقال : شكراً يا "هانك" ..

وعدت أتامل الرجل ذا الحقيبة عند أقدام مقعده العالي أمام المشرب وكان يطوي الصحيفة فرايت على ذقنه جرحا جديداً ثم جرحا اخر بالقرب من أذنه !! وكان ذلك كافيا لأن يربد وجهي فامتدت يد "كازينو" تدفع ركبتي وقد برقت عيناه ثم هز راسه دون أن ينطق بحرف ، وبذلك ادركت انه شاهد الجرحين من قبلي أي عند دخولنا الفندق . أما "سافيلا" فلم يرهما إلا عندما طوى الرجل صحيفته ولذلك انقض من مقعده يمسك يد الرجل التي بدا فيها إذ ذاك خاتم اشبه في شكله بإبزيم من الذهب ! وكان "سافيلا" يصيح : خاتم "جوزيه" خاتم أمنا ! أنت الرجل الذي ...

وراح يلعن ويصخب بلغته الإسبانية . وألقى الرجل صحيفته وانحدرت نظرته إليّ - من خلف نظارته - قوية نافذة كنظرة النسر ، ومنعني "كازينو" من أن انقض بدوري عليه وسرعان ما ثار الرجل ثم

وثب يجري ومن خلفه "سافيلا" يتبعه ويصيح . وأخرج الرجل من جيبه مسدس "جلوريا" ولكن قبل أن يسدده إلى "سافيلا" كان هذا قد لطمه على وجهه لطمة قوية جعلت الرجل يهوي على الأرض وقد سقط المسدس من يده . وانحنى "سافيلا" بسرعة يلتقط المسدس ويطلق منه ثلاثة أعيرة إلى الرجل الجاثم عند قدميه . واندفع "كازينو" نحو المدخل وقد تسمرت عيون جميع من في الردهة الواسعة على ذلك المنظر . وسرعان ما اختفى "برودسون" وبقيت في مكان ممسكا كأسي وقد أذهلتني المفاجاة إلى أن انفجرت إحدى النساء معولة بينما تجمع الرجال حول "سافيلا" وساورني القلق المتزايد في كل لحظة إلى أن فتح الباب ودخل منه "كازينو" و "برودسون" وفي رفقتهما المفتش "دافيدسون" ومساعده ! وهتف "كازينو" يحدثني :

- أهذا أنت يا "لوبين" ! لقد جئت أعيدك إلى لندن ، ما كان يجدر أن تهرب من المستشفى فتجعل مفتش البوليس يطاردني طول اليوم إلى أن لحق بي . أنت ولد شقي .. ولكن .. ماذا حدث؟ وما هذا الزحام ؟!

فصاح أحد الحاضرين : لقد مات

وصاح آخر : استدعوا طبيباً والبوليس

ونظر كل من المفتش ومساعده إلى الأخر ثم تقدما إلى الحشد الملتف في منتصف الردهة بينما كان "سافيلا" يناضل أربعة رجال عصف بهم الغضب للحادث . وتطلعت إلى "كازينو" الذي كان هادئا ثابتا كالطود فعاد يخاطبني بصوت مرتفع :

- قل لي ماذا حدث وماسر هذه الجلبة كلها ؟

وحملت سيارة الإسعاف جثة "روبين ترنت" الذي دلت الأوراق التي وجدت في جيبه على أنه يدعى "ريتشارد تايلور" !! بينما سيق "مانويل سافيلا" إلى اقرب مخفر للبوليس يحرسه الكونستابل المحلي ، ثم دعاني "كازينو" للخروج معه من الفندق .. وفي الشارع كانت تقف سيارته الأمريكية وخلف عجلة قيادتها "هاري" بينما على الجانب المقابل من الشارع كانت تقف سيارة البوليس، ومالبث المفتش "دافيدسون" ومساعده أن لحقا بنا على الرصيف وانشا المفتش يتحدث مباشرة في الموضوع قائلا لـ"نيد" :

- لقد تبعنا سيارتك من العصر وهي تتجول في انحاء البلد ولكن هانتذا تصل بعد بضع ثوان من هذا الحادث ثم تجد "ارسين لوبين" امام المشرب وقد اكفهرت اساريره !

وحاولت أن أحتج على نسبة الشحوب إليّ والجميع يعلمون انني مريض ولكن المفتش استرسل يقول : ويزيد حيرتي ان وجدنا "سافيلا" ممسكا بمسدس بعد أن قتل رجلا غريباً تمتلئ حقيبته باوراق مالية مزيفة !!

فابتسم "كازينو" ثم اخرج سيجارة ليشعلها في هدوء وهو يقول:

- إنك تبحث دائما عن الدوافع والاسباب البعيدة متجاهلا التعليلات السطحية التي لاتحتاج إلى جهد وتفكير ! ! إنني احب التجول في البلد بسيارتي ولذلك تجدني اتنزه فيها دائماً وخصوصاً في مكان جميل مثل سيكومب ولكن ربما اوما "سافيلا" إلى انني كنت هنا ومع ذلك فقد قمنا ببعض الأعمال في الليلة الماضية وأظنك قرأت في الصحف أن نادي سيلفر قد انتقلت ملكيته إلي ...

فقاطعه المفتش في خشونة : وأظنك أنت تعلم انني تلقيت مكالمة تليفونية من مكان قريب من نادي سيلفر حملتني على الذهاب إلى شقة "جوزيه سافيلا" !!

ولما لم يحفل "كازينو" بذلك الجو المشحون بالكهرباء عاد المفتش يقول :

- لولم أرك بعيني تصل إلى هنا ، ولو لم أرك واقفا على الرصيف بعد أن خرجت من سيارتك ، ولو لم الحق بك قبل أن تدخل الفندق ...

ثم توقف يلتقط انفاسه اللاهثة لفرط انفعاله ، فسأله "كازينو" في براءة وسذاجة :

- لولا هذا كله لكان .. ماذا ؟

فزمجر المفتش متقززا: لا أدري لماذا أنفعل كلما فكرت فيك يا "نيد" ؟!

- هذا يرجع إلى طبيعتك المتشككة يا مستر "دافيدسون" .

- خذ مثلا .. ها هو "لوبين" هنا في داخل الفندق حيث كان واجباً أن تكون بدورك معه في ذلك الفندق .

- إنك تنسى يا سيدي أن "سافيلا" يطارد "لوبين" فلا مجال إلى

تصديقه لو حاول أن يكذب عليكم ويدعي انني كنت هنا لانك رايتني بعينيك عند وصولي .

- حسنا .. لقد رايناك وتبعنا سيارتك وهي تتجول في انجلترا ثم تقف عند موقف السيارات ولم نرك تخرج منها إذ ذاك وتبعناك إلى هنا، فلما خرجت من سيارتك التي نعرفها جيداً خرج معك "برودسون" .

- على أي حال أنا لم أشاهد حادث إطلاق الرصاص ولست شاهدا عليه ، لانني كما تعلم كنت في سيارتي ، أعني لن تطلبني المحكمة لأداء الشهادة .

- ولكن سيجيء يوم ..

- دعنا من المستقبل فهو في عالم الغيب .

- ولكن كيف عرفت أن "سافيلا" سيطارد "لوبين" ؟

- قال لي ذلك بنفسه عندما اشتريت منه نادي سيلفر .

- الحق انني لا ادري كيف تجمع رجال "سافيلا" في شقة اخيه مع "ليلان" ، او لماذا جاء "سافيلا" إلى سيكومب ، او لماذا يطارد "لوبين" ، او لماذا يجيء بنفسه إلى سيكومب ؟!

- إنك تنسى يا سيدي المفتش أن "لوبين" يتودد إلى مسز "جوزيه سافيلا" ، وانها كانت كذلك في نادي سيلفر ، وانها دعت "لوبين" إلى الشقة دون أن تدري أن رجال "سافيلا" قد استعدوا لمقابلته هناك مقابلة حارة ، ثم يجب ألا تنسى أن "مانويل" "سافيلا" يحقد على "لوبين" لانه شهد على أخيه "جوزيه" شهادة ستفضي به إلى المشنقة .

- اسكت أنت ودع "لوبين" يخبرنا .

وأدركت أن الكرة قد ألقيت في حجري كما تقول الأمثال ، وتطلعت إلى "كازينو" فوجدته قد عقد ما بين حاجبيه كانما يحذرني من التورط، ولكنني قلت في اعتداد :

- الأمر غاية في السهولة والوضوح .. فإن "نيد" كان يعلم الكثير عن اهتمامي بـ "جلوريا سافيلا" .

ولما أطرق المفتش برأسه استرسلت أقول :

- لقد اهتممت فعلا بـ "جلوريا" وتعددت مقابلاتنا ووجدتها تسعى

لمعرفة شيء يهمها عن أختها وزوج أختها . ثم وعدتها بالمجيء إلى سيكومب . ومن أجل ذلك ذهبت إلى شقتها لنتحدث في الأمر، ثم كان ما كان من ذهابي إلى المستشفى ، ثم مغادرتي له معتزما مقابلة "جلوريا".

- لقد فكرتنا بلعبتك القذرة ؟

- وحاولت أن أتصل بها تليفونيا ولكني لم أستطع

وكذبت متعمدا لأبعد "جلوريا" عن كل ما يجعلها موضعا للمؤاخذة ثم استطردت أقول :

- ولم أشأ أن أكون في مكاني قريب من لندن خشية أن يقتلني "سافيلا" ، فجئت إلى هنا لأشرب كأسا فإذا بي أرى "سافيلا" هنا، ثم شاهدته ينقض على رجل جالس على قيد خطوات مني وإذا بهذا الرجل يخرج مسدسه . وغدوت أشبه بمن يتملكه كابوس، وحرت ماذا أفعل إلى أن رأيتك و"نيد" ومساعدك داخلين.. هذا إلى جانب أنك تعلم لماذا أنا هنا .

لماذا يا "لوبين" !

- لأن "جلوريا" كانت سترسل لك نسخة من أوراق أخذتها من أختها وتوضح ماذا كان يعمله زوج أختها عندما قتل في حادث السفينة وفيها ذكر للأوراق المالية المزيفة .

- لقد أرسلت لي النسخة فعلا ولكنها لم تذكر أسماء ، فهل حوى الأصل ...

- اسألها هي عن ذلك فإنني لا أحب أن يكون لي شأن في هذا الموضوع

وإذ ذاك قال لي "كازينو" :

- تعال أوصلك في سيارتي يا "لوبين" فإنك مازلت بادي الإعياء

ورأيت أن أمضي عائدا إلى لندن مع "نيد" لأتحدث إليه قليلا بعد أن أجاد دوره وجعل السيارة الأمريكية تصل بالضبط في الوقت الذي يوهم المفتش والسيارة المطاردة أنه لم يكن في سيكومب قبل الحادث !

وأخيرا قال المفتش :

- أرجو أن أراكما قريبا ، واعتقد يا "نيد" أنك أمهر كاذب في هذا

البلد ، ولكن سيأتي وقت ..

والتقطنا "برودسون" ثم "هاري" .. ووجدني "كازينو" مكتئبا ، فلما سألني عن السبب قلت :

- عندما يعود رجال البوليس لفندق كرافن في الغد ويجدون الأثاث المحطم في مخدع النوم ومائركناه في الكيلار والمطبعة والأكليشيهات والملابس وأدوات التنكر والمقص والمسدس .. لن تجوز حيلتنا على "دافيدسدون" !

فابتسم "كازينو" وقال : لقد خيبت رجائي فيك يا "لوبين" !إنك ذكي وفي ولكنك كثير التشاؤم . إن "فريد" قد تولى تبديد مخاوفك فيما عدا المطبعة

والحق أنني أكبرت في "كازينو" فضائل كثيرة جعلتني أوثره باعترافاتي وأجعله محور قصتي ، فقد امتاز بدقة كبيرة وخاصة في التوقيت واستخدام أحدث المخترعات ، فبفضل جهاز الإذاعة تمكن "هاري" و "فريد" من الاتصال معا وكل منهما في سيارته ، كما أعجبت بتضليله رجال البوليس وحملهم على مطاردة السيارة الأمريكية ظناً منهم أنهم يتأثرون خطاه ، ولذلك فهو جدير بما نعته به المفتش "دافيدسدون" من أنه أمهر كذاب في البلد !

ولاشك أن "كازينو" قد اتقن فن الكذب بحيث ظل بعيدا عن متناول القانون كما حمل الآخرين عليه لحمايته ، وها هو ذا يجعل من مفتش البوليس ومساعده شاهدين على عدم وجوده في مكان الجريمة وقت وقوعها !

وانفجرت ضاحكا فاغتبط "كازينو" وتناول من جيبه مفتاح السيارة الذي كان قد أعطانيه ثم قال معتذراً :

- عندما كنا في فندق تشانل هايتس رأيت من الحكمة أن أبعده عنك مخافة أن يفتشوك ثم يهتدوا بالمفتاح إلى أن "جلوريا" استأجرت تلك السيارة .

وخرجنا من سيكومب فالتقط "هاري" جهاز الإذاعة وناوله لـ"برودسون" . وجرت السيارة إلى أن بلغت الحظيرة حيث كانت السيارة الماجورة قد تركت فانزلني "كازينو" قائلا :

- أرجو لك حظا سعيدا يا "لوبين" ولاتنس أن تقبل لي شقراك.

ورايت "كازينو" ينساني فور أن اغلق خلفي باب السيارة ليقول للأمريكي:

- قل لـ "ستيف"...

ورايت في السيارة الماجورة "جلوريا" تستقبلني باسمة وتقول:

- لا تبد دهشتك او اظنك غير مرتاح لمقابلتي ! هات المفتاح وهيا نتنزه قليلا لتخبرني في الطريق بما حدث.

وعدنا إلى لندن في بطء وأنا أروي لها القصة المحبوكة التي نسج خيوطها الدقيقة "كازينو" فضحكت وقالت:

- إن "كازينو" شديد الاحتراس ولكن شيئا واحدا نسيه وكان يمكن ان يقضي عليه.. لقد حذفت الأسماء من النسخة التي أرسلتها لمفتش البوليس ولكنها موجودة في الأصل. فلما بدأ "برودسون" يعاونني في حزم حقيبتي قبل أن ياخذني إلى السيارة التي في الموقف التقط الطرف المسجل واشعل فيه النار. وقبل أن أمنعه قال إنه يفعل ذلك «لمجرد الاحتياط».

قلت: ثقي بان "كازينو" هو الذي طلب إليه ذلك.

- الحق انه بعيد النظر ويفكر في كل شيء.

فسعلت وقلت: تصوري أنه فكر حتى في أن أقبلك !

واوقفت السيارة ولففت حولها ذراعي.

"تمت بحمد الله"